الوسطية في المنهج العقائدي
عند الأشعري

د/ رانيا محمد عزيز نظمى
مدرس الدراسات الإسلامية
بكلية الآداب– جامعة دمنهور

مقدمة

الحمد لله المتصف بمحاسن الأسماء والصفات، العالي علي جميع المخلوقات الذي شهدت له بالربوبية جميع الكائنات. وأقرت له بالإلوهية وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في الأرض والسموات. ولا مثيل له في الأسماء والصفات ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، البشير النذير والسراج المنير، والصلاة والسلام على رسول الله Iالآتي بتوحيد الذات والأفعال، والصفات وعلى ألـه وأصحابه أولى الهداية والدراية والدرجات.

لا أظن أن أحداً يخالف في أن عقيدة أولئك الرجال كانت هي العقيدة الصافية صفاء ماء البحيرة جال سكون الرياح القوية قوة الجبال الرواسي المتينة متانة العروة الوثقى. وقد غير الله بأصحاب تلك العقيدة مسار التاريخ الإنساني، فهل نلام إذ عدنا إلي العقيدة وإلي منابعها، تلك المنابع التي نهد منها الإبرار الأخيار من سلفنا الصالح .

وشخصية أبى الحسن الأشعري تمثل تلك العقيدة الصافية فهو أي أبى الحسن من الشخصيات الإسلامية التي امتازت بنفاذ الذهن، وبعد الغور ووفرة المحفوظ، وعرف بالزهد والعفة ، فكان له إتباع غير محصوري العدد من أدني الشرق إلي أقصى المغرب. فكان علينا وبعد مرور هذا الزمن من إحياء هذا التراث الجلل، ونشره بين هذا الجيل وفاء لعلمائنا، واعترافا بفضلهم ، واحتراما لجهودهم وهذا هو دافعي في عرض هذا البحث.

هذا البحث مهم بالنسبة إليّ لأنه:

- **أولاً** : التعرف علي أقوال عدة فرق في مسائل العقيدة، وعلي أدلتهم.

- **ثانياً** : أن أوازن بين الآراء.
- **ثالثاً**: التعرف علي علماء أهل السنة، وخدمتهم وحرصهم علي هذا الدين.
- **رابعاً** : أن أدرس واحداً من أهم شخصيات علم الكلام السني وهو الإمام أبو الحسن الأشعري
- **خامساً**: أن أتوصل إلي الجواب على عدة أسئلة كانت تراودني.

والخطة التي تتبعتها في البحث تضمنت ثلاثة فصول ، وهي على النحو التالي:

الفصل الأول
شخصية الإمام أبى الحسن الأشعري

المبحث الأول : البيئة الفكرية للإمام أبي الحسن الأشعري

إن سلامة المنهج تقتضى منا قبل الحديث عن أية شخصية أو أي فكر أن نتحدث عن البيئة التي أنتجت لنا تلك الشخصية أو ذلك الفكر. وشخصية الأشعري أو فكره جاء كنتيجة للصراع الذي عرفته الأمة بين المعتزلة والحنابلة، لذا وجب علينا أن نتحدث عن ثلاث نقاط .

١- المعتزلة

٢- المعتزلة في صراعها مع الحنابلة وأهل الحديث

٣- عصر الأشعري، والأحداث التي طرأت علي المستوى الفكري

١- المعتزلة:

بعد وفاة الرسول I ظهرت عدة فرق تختلف في آرائها وأفكارها وكان أبرزها المعتزلة، وهى فرقة فكرية بدأ نشاطها في مطلع القرن الثاني الهجري حينما ظهر واصل بن عطا بآرائه التي تفرد بها عن أساتذته الفقهاء، وأسس مدرسة الاعتزال التي كانت تضم مجموعة من المفكرين الذين كانت غايتهم في بداية أمرهم الدفاع عن العقيدة الإسلامية ضد الغزو الفكري الذي تسرب إليها من ديانات الشعوب التي فتحها المسلمون، فالملاحظة علي الأصول الخمسة التي بني عليها المعتزلة عقيدتهم كانت إما ردودا علي بعض الديانات أو تأثيرات من بعضها.. وفيما يلي نورد تلك الأصول:

- **الأصل الأول: <u>التوحيد</u>**: يعنون به أن الله تعالى واحد لا شريك له فيما يستحق من الصفات نفياً ُ وإثباتا علي الحد الذي يستحقه والإقرار به". ويتخلص مفهوم التوحيد عندهم، كما يرويه الإمام أبو الحسن الأشعري فيما يلي : " أجمعت المعتزلة علي أن الله واحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ". وليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولا دم... ولا يتحرك ولا يسكن وليس

له أبعاد وأجزاء وجوارح أعضاء، ولا يحيط به مكان ولا يجرى عليه زمان، ولا تدركه الحواس – ولا يقاس بالناس ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه ... وكل خطر بالبال وتصور بالوهم فغير مشبه به لم يزل سابقاً متقدماً للمحدثات موجوداً قبل المخلوقات... عالم قادر حي لا كالعلماء القادرين الأحياء وأنه القديم وحده ولا قديم غيره لم يخلق علي مثال سابق...ولا يجوز عليه الفناء ولا يلحقه العجز والنقص"[١]وقد جاء أصلهم هذا رد علي التصور اليهودي لله الذي سرى أثره إلي بعض المشبهة والمجسمة في الإسلام عن طريق الإسرائيليات.

- **الأصل الثاني :<u>العدل</u>** : ومعناه أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها مستحق علي ما يفعله ثواباً وعقاباً في الآخرة والله تعالى منزه عن أن يضاف إليه شر وظلم وفعل هو كفر ومعصية لأنه لو خلق الظلم لكان ظالما ، كما لو خلق العدل كان عادلا، وأن الحكيم لا يفعل إلا الصلاح والخير ، ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد أما الأصلح والألطف فقد اختلفوا في وجوبه وسموا هذا النمط عدلا .[٢] وهذا الأصل جاء كنتيجة للأشكال الذي طرحته الزرادشتية في مسألة الشر ومصيره ويتخلص هذا الأشكال في الشر هل ينسب إلي الله أم إلي إبليس ؟ وكيف رضي الله ببقاء إبليس ليضل الناس ويغريهم؟ فقد المعتزلة هذا الأصل كحل إسلامي! ..[٣]

ويعتبر هذين الأصلين أهم الأصول المقررة عند المعتزلة وليست الأصول المتبقية إلا ناتجة عن هذين الأصلين، ومن ثم ندرك حرص المعتزلة تسمية أنفسهم " أهل العدل والتوحيد" .

- **الأصل الثالث: <u>الوعد والوعيد</u>** : وهو مستمد من مفهوم العدل عند المعتزلة. وذلك أن الله لم يخلق شيئا إلا لحكمة؛ لأن الفعل الإلهي منزه عن العبث. ويتخلص هذا الأصل في تقريرهم أن المؤمن إذا فعل الطاعة والثوب استحق

(١) الأشعرى : مقالات الإسلاميين جـ١، ص:١٢٣ .
(٢) نشأة الأشعرية . ص٤٣
(٣) الخوارج . ص٨٧

الثواب والعوض، وإذا ارتكب كبيرة، ومات من غير توبة استحق الخلود في النار، لكن عقابه يكون أخف من عقاب الكفار وهم الذين أشركوا بالله .

- **الأصل الرابع: <u>المنزلة بين المنزلتين</u>:** ويتخلص موقفهم في أن مرتكب الكبيرة فاسق وأنه في منزلة بين الإيمان والكفر، وأصلهم هذا مستمد من تصورهم للإيمان إذا يجب عندهم اقتران الإيمان بالعمل، وحيث أن مرتكب الكبيرة ليس مؤمنا بهذا الوصف – لأنه مقترف للكبيرة التي لا تقترن مع الإيمان أبدا– وحيث أنه لا يمكن عدّه بكبيرته كافراً– لأنه ينطق بالشهادة ويقر بصدقها – فإن منزلته تكون بين منزلة الإيمان والكفر. وموقفهم هذا يمثل حلاً وسطاً بين المرجئة الذين يقولون بإيمان مرتكب الكبيرة والخوارج الذين يقضوه بكفر.
- **الأصل الخامس: <u>الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر</u>** : وهو الناحية العملية في الدين، بدونه يصبح الدين أمرا نظرياً، وما دام الإيمان قول وفعل عند المعتزلة وجب الحفاظ علي هذا الزواج المقدس بين القول والفعل، والإبقاء عليه، وليس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا وسيلة لتحقيق تلك العلاقة الازدواجية[1] والمعتزلة في بدايتهم لم يكونوا مبتعدين عن أهل السنة، بل كانوا يحاولون الاستدلال علي عقائدهم بواسطة العقل بعد تقريرهم بما جاء في القرآن والسنة.

غير أن طبيعة نشأتهم التي كانت تمثل الصراع بين الفكر الإسلامي والفكر الدخيل الذي يعتمد علي العقل كأساس للمعرفة ولا يؤمن بالوحي كانت تفرض عليهم أن ينازلوا خصمهم بنفس سلاحهم ، فأسرفوا في أخذهم بالعقل، وشرعوا في تأويل جميع النصوص القرآنية التي تتعارض والأصول التي بنوا عليها عقيدتهم، كما لجأوا إلي إقصاء جميع الأحاديث التي تخالف آرائهم ولم يقبلوا منها سوى المتواتر الذي تعرض كذلك للتأويل.

وفي المقابل ظل أهل الحديث والسنة مبتعدين عن الخوض في مسائل العقيدة ، وانحصر كلامهم فيها في أجوبتهم علي الأسئلة التي كانت ترد عليهم ،

---

(1) المعتزلة ومشكلة الحرية ، بتصرف ص٦٦ .

كما كان مصدرهم الوحيد في ذلك النقل دون العقل ، فما أثبته النقل ثابت وما نفاه فهو منفي، ويمثل منهجهم هذا الإمام مالك في قولته المشهورة عندما سئل عن كيفية استواء الله ﷻ : " الاستواء معلوم ، والكيف مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عند بدعة ". كما كان هؤلاء يذمون الخوض في علم الكلام ومسائل العقيدة ، يمثل موقفهم هذا مجموعة من أقوالهم سأقتصر علي بعضها.

- **الإمام الشافعي:** تناظروا في شيء إن أخطأتم يقال لكم أخطأتم .. ولا تناظروا في شيء إن أخطأتم يقال كفرتم.
- **الإمام احمد بن حنبل:** لا يفلح صاحب الكلام أبدا، ولا تكاد ترى أحد نظر في الكلام إلا في قلبه دغل
- **أبو يوسف :** من طلب العلم بالكلام تزندق.

ولكن رغم أقوالهم تلك لم يجدوا بدا من الدخول مع أهل البدع والأهواء لما خافوا علي العقيدة من تشويهها في نفوس المسلمين، فبدأ يردون عليهم أقوالهم ويؤلفون في ذلك الكتب . [1]

٢- المعتزلة في صراعهم مع الحنابلة :

ظلت المعتزلة نشيطة تؤلف الكتب وتناظر وتنشر آرائها منذ القرن الثاني الهجري، ولم تكن تملك أي نفوذ سياسي، حتى عصر المأمون الذي احتضن الاعتزال وتبناه، كما احتل المعتزلة مناصب كبيرة في الدولة فكان منهم الوزراء والقضاء، فأصبحوا أصحاب حول وطول في الدولة العباسية، فاستغلوا هذا الظرف لصالحهم لينشروا مبادئهم، وشاعت عنهم فكرة خلق القرآن وتكفير من لم يقلها. وألحوا علي تسمية القرآن بالمخلوق لنهم يرون أن الله وحده القديم وكل ما عداه فهو محدث ومخلوق وأنكر المحدثون أن يسموه القديم واستشنعوا أن يسموه المخلوق.

(١) انظر العقائد السلفية : ص١٢٠ – بتصرف .

أما المعتزلة فرأوا بحكم الأصول التي بنوا عليها عقيدتهم خاصة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن المطالبة بهذه العقيدة فرض محتم، ولا يصح العدول عنه، ولا يسع الحكومة التي تدين بالإسلام – وتحمى عقيدته التوحيد ، أن تتساهل في تنفيذ هذه العقيدة وأخذ الناس عليها...حملوا المأمون علي حمل الناس علي الاعتقاد بخلق القرآن وجعلها عقيدة رسمية للدولة، فتعرض كل مخالف لقولهم لشتى أنواع التعذيب والتنكيل، حتى لم يبق مفت إلا ويقول بخلق القرآن إلا أن أضحت محنة الإمام أحمد بن حنبل ، زمن المعتصم الذي أخذ سياسة أخيه، والحنابلة زمن الواثق– الذي زاد علي ذلك أن حمل الناس علي القول بإنكار رؤية الله ﷻ.

٣- عصر الأشعري والأحداث التي طرأت علي المستوى الفكري :

بعد وفاة المعتصم والواثق تولى الخلافة المتوكل وأعلن رفع المحنة عن الحنابلة، كما أدى المعتزلة وأقصاهم من المناصب الحكومية الخطيرة التي كانوا يشغلونها كما أن ما طرأ من أحداث أورث الناس نقمة علي الاعتزال والمعتزلة خاصة وأنهم لم يكونوا يفهمون المعتزلة بسبب تشدقهم العقلي . فبعد المتوكل فقدت المعتزلة نفوذها السياسي ، كما فقدت سيطرتها علي عامة الناس إلا أنها استطاعت أن تعيد بعد الثقة لنفسها وللاعتزال في الوسط العلمي بواسطة رجال جهابذة تميزوا بحدة الذكاء وقوة القريحة جلبت إعجاب الكثير من الشباب المثقف، الذكي وأصبح المقرر عندهم أن المعتزلة يتصفون بدقة النظر واتساع الفكر، وأن آراءهم وما وصلوا إليه من نتائج أقرب إلي العقل.

وبالعكس من ذلك لم تظهر في الحنابلة شخصية قوية بعد الإمام أحمد بن حنبل تستطيع أن تجادل المعتزلة بالأساليب التي نشرها المعتزلة، فكان من نتيجة ذلك ظهور المعتزلة علي الحنابلة والمحدثين في مجالس البحث والمناظرة ، وبدأ الناس يشعرون أن المدافعين عن السنة وممثليها متخلفون عن ركب العلم السائر ويجهلون مبادئ الفلسفة، وأصبحوا مأخوذين ببلاغة المعتزلة وسرعة استحضارهم، وتدقيقهم في المسائل الكلامية وتعمقهم فيها، وأصبح كثير من

الشباب المثقف يستخفون بظاهر الشريعة، ويعتقدون أن مسلك السلف وما ذهبوا إليه من عقائد لا يقوم علي البحث العلمي والأساس العقلي ..

وقد كان هذا الوضع خطيرا على مركز الدين والسنة في نفوس المسلمين ، وصار هؤلاء المتفلسفون يبعثون بتفسير القرآن وعقائد الإسلام ، تتحكم فيها أهواؤهم وعقولهم، ووجد في الأوساط العلمية اتجاه عنيف نحو تقديس العقل وتحكيمه في المسائل التي لا تقو إلا علي تعليمات النبوة والإيمان بالغيب . وقد عجز عن مقاومة هذا التيار العنيف ورده المحدثون المتصلبون والحنابلة المتحمسون والفقهاء البارعون، فلم يكن لديهم السلاح القوي الذي يقوم في وجه هذا التيار العقلي ويرده علي أعقابه. كما أن فقدان المعتزلة سلطتها السياسية ومصداقيتها عند عامة الناس كان مساعدا لانتشار ونشاط فرق أخرى أخذت بالنص والظاهر إلي حد التشبيه كالكرامية والمشبهة والمجسمة.

ما يمكن قوله من خلال هذا العرض: أن الفترة التي عاشها الأشعري كانت تعرف صراعاً حاداً بين عقيدتين متنافرتين عقيدة تنزه الله إلي حد التعطيل وعقيدة تثبت لله تعالى كل ما هو واجب له إلي حد التشبه. كما عرفت صراعاً قوياً وحاداً بين النصيين والعقليين فكانت الأمة بحاجة غلي من يعيد للعقليين رشدهم وإلي الصواب بنفس أساليبهم ومناهجهم ولا أدل علي ذلك وجود ثلاث رجال في نفس الفترة حاولوا التوسط بين الفريقين وجمع الناس علي عقيدة أهل السنة والجماعة وهم: أبو جعفر الطحاوي في مصر، أبو منصور الماتريدي في بلاد ما وراء النهر، والأشعري أبو الحسن في العراق.

إلا أن المذهب الأشعري هو الذي كتب له النشاط الواسع بحكم موقعه وإتباعه العظماء وعدة اعتبارات أخرى تعود إلى شخصيته فمن هو الإمام أبي الحسن الأشعري؟وما هو مذهبه في العقيدة وآراءه؟

المبحث الثاني : لمحة عن حياة أبي الحسن الأشعري :

١- اسمه وكنيته ولقبه

هو أبو الحسن بن إسماعيل بن أبي بشر بن إسحاق بن سالم ، بن إسماعيل بن عبد الله بن موسي بن بلال بن أبي بردة، بن صاحب رسول الله I أبي موسي عبد الله بن قيس بن حضار الأشعري اليماني البصري .

ويكني : الأشعري لأنه من ولد صاحب الرسول الله I أبي موسي الأشعري . وقد لقب الأشعري بعد مماته بناصر الدين، جاء في كتاب ابن عساكر " ... ونودي علي جنازة ناصر الدين"(١).

٢- موطنه ومولده :

تجمع المصادر المترجمة للأشعري علي أن مولده كان بالبصرة ، وأنه نشأ بها وظل بها فترة طويلة من حياته ثم غادرها وسكن بغداد إلي أن توفى بها ولهذا يقولون عنه: بصري سكن بغداد. (٢)

٣- مصادر ترجمته :

- طبقات الشافعية الأسنوي:جـ١ص٧٢،دار العلوم للطباعة والنشر والتوزيع، تحقيق عبد الله حبور
- الفهرست لبن النديم : ص: ٢٥٧، تحقيق رضا تحدد .
- سير أعلام النبلاء للذهبي : ص:٨٥ ، نشر مؤسسة الرسالة .
- الخطط المقريزية : جـ١ ، ١١ص: ٣٠٧ .
- تاريخ بغداد : جـ١١، ص:٣٤٦ .
- وفيات العيان لابن خلكان : جـ١١، ص٤٤٦.
- شذرات الذهب:جـ٢،ص: ٣٠٣ منشورات دار الأفاق الحديثة ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي

---

(١) تبيين كذب المفترى ص: ١٤٧.

(٢) تبيين كذب المفترى ص: ٣٥.

- البداية والنهاية لابن كثير : جـ١١، ص١٨٧ .
- تبيين كذب المفترى فيما نسب إلي الإمام أبى الحسن الأشعري ابن عساكر: نشر دار الكتاب العربي ١٩٧٩.
- المنتظم لبن الجوزي : جـ ٩، ص : ٣٣٢ مطبعة دار المعارف العثمانية .

ولا تذكر المصادر متى غادر الأشعري البصرة إلي بغداد إلا تصريحها أن ذلك كان بعد تحوله عن الاعتزال. يرجع عبد الرحمن البدوي أن ذلك كان بعد وفاة الجبائي سنة ثلاثة وثلاثمائة للهجرة.(١)

أما عن سنة مولده فقد اختلفت المصادر في تحديدها: يقول الذهبي : مولده سنة ستين ومائتي وقيل بل ولد سنة سبعين" . وذهب بن خلكان إلي أنه ولد سنة سبعين ومائتين(٢)، بينما أكثر المصادر المترجمة(٣)، للأشعري ذهبت إلي أن ذلك كان عام٢٦٠، يقول أبن عساكر بعدما ذكر زمن ولادته رواية عن أبي بكر الوزان، ولد ابن أبي بشر سنة ستين ومائتين– ولا أعلم لقائل هذا القول في تاريخ مولده مخالفا. (٤) وهناك قول ثالث قاله المقريزي أن ذلك كان عام٢٦٦هـ.

٤- وفاة أبيه وزواج أمه:

أبوه هو إسماعيل بن إسحاق وكان سنياً جماعياً حديثياً أوصى عند وفاته إلي زكريا يحيي الساجي ﷺ... وبعد وفاة أبيه تزوجت أمه أبا علي الجبائي. هذا كل ما تذكر المصادر عن أبيه وزواج أمه أبا علي الجبائي غاضة الطرف عن تاريخ هذين الحدثين الهامين في حياة الأشعري.

٥– شيوخه وتلاميذه وأتباعه:

(١) مذاهب الإسلاميين للدكتور محمد عبد الرحمن بدوي جـ١، ص :٤٩١ نشر دار الفلم للملايين .
(٢) وفيات للأعيان ، جـ١١، ص:١٤٦.
(٣) كالبغدادي وابن عساكر ابن الجوزي .
(٤) تبيين كذب المفترى : ص: ١٤٦.

أ- شيوخه:

لم أقف علي أي مصدر يحكى عن فترة نشأته الأولى وبداية أخذه للعلم وشيوخه في المرحلة الأولى إلا ما تحكيه أنه نشأ علي الاعتزال رابطة زواج أمه بولائه للاعتزال ولكن ماذا عن الفترة التي تسبق زواج أمه فهذا لا تذكر عنه المصادر أي شيء مما ألجأني إلي البحث في المراجع لعلني أجد شيئا لم أقف عليه . وفي هذا الصدد ، يقول الأستاذ محمد أبو زهرة : درس في نشأته علوم الإسلام الأولى حفظ القرآن وطائفة من الأحاديث، ومقداراً من الأحكام الفقهية يتعرف منها أوامر دينه وكان من الممكن أن يسلك مسلك الفقهاء والمحدثين وكان علم هؤلاء علم رواية وتفريع الأحكام وتخرجها علي أصولها من الكتاب أو السنة أو القياس الفقهي.. وكان في نفسته نزوع إلي الدراسات العقلية في ظل المبادئ الإسلامية ولم يجد هذا إلا عند المعتزلة..[١]

وقد ذهب محمد السيد الجليند إلي أن نبوغ الأشعري كان علي يد الفقهاء والمحدثين قبل زواج الجبائي بأمه فبعدما ذكر خبر وفاة أبيه ووصيته بابنه إلي الساجي قال: " فإذا كان المر كذلك قلنا يمكن أن نتوقع نبوغ الأشعري علي يد الفقهاء والمحدثين قبل زواج الجبائي بأمه "[٢] .

هذا عن بداية أخذه العلم، أما بعد هذه الفترة فالأشعري تتلمذ علي يد جهابذة كبار كانوا أئمة في زمانهم ، عرفوا بالعلم والفضل ومن بين الشيوخ الذين أخذ عنهم الأشعري هناك:

- **أبو علي الجبائي**[٣] :وهو محمد بن عبد الوهاب بن سلام المتوفى سنة ثلاث وثلاثمائة، وكان شيخاً للمعتزلة في عصره في البصرة ، وكان صاحب تصنيف وقلم إلا أنه لم يكن قويا في المناظرة.. وأبو علي الجبائي كان شيخا

(٥) مجلة العربي : العدد ٤٦، عنوان المقال "أبو الحسن الأشعري لمحمد أبو زهرة الواقع" في الصفحة ٢٥، وهذا الكلام منقولا من الصفحة٢٦.

(٢) رسالة أهل الثغر لأبى الحسن الأشعري : تحقيق محمد السيد الجليند ، ص:٧

(٣) سير أعلام النبلاء : جـ ١٥، ص:٨٦+ شدرات الذهب جـ١١، ص:٢٤١ .

للأشعري أخذ عنه علم الجدل والنظر والكلام وله معه مناظرات في الثلاثة الأخوة وغيرها دونها الناس.

- **أبو إسحاق المروزي**[١] : وهو الإمام الكبير أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المروزي، المتوفى أربعين وثلاثمائة شيخ الشافعية وفقيه بغداد صاحب أبى العباس بن سريج وأكبر تلامذته، اشتغل ببغداد دهرا وصنف التصانيف وشرح مذهب الشافعي ولخصه ، وانتهت إليه رئاسة المذهب. ويروى البغدادي عن الأشعري انه كان يجلس أيام الجمعة في حلقة أبى إسحاق المروزي الفقيه من جامع البصرة .[٢] كما ينقل عبد الرحمن بدوي عن السبكي قوله : ذكر غير واحد من الإثبات أن الشيخ أبا الحسن الأشعري كان يأخذ مذهب الشافعي عن أبى إسحاق المروزي، وأبو إسحاق المروزي يأخذ عنه علم الكلام لذلك كان يجلس في حلقته"[٣] .
- **ابن سريج** [٤] : وهو الإمام شيخ الإسلام فقيه العراقيين أبو العباس أحمد بن عمر سريج البغدادي، القاضي الشافعي صاحب المصنفات المتوفى سنة ست وثلاثمائة للهجرة.. قال عنه الشيخ أبو إسحاق كان ابن سريج يفضل علي جميع أصحاب الشافعي حتى على المزني.
- **أبو خليفة الجمحي** : وهو أبو خليفة بن الفصل بن الحب حاب عمرو بن محمد بن شعيب الجمحي البصري الأعمى، وهو الإمام العلامة المحدث الأديب الإخباري شيخ الوقت .. وعنى بهذا الشأن وهو مراهق.. ولقي الإعلام وكتب علماً جمان وكان صادقاً مأموناً أديباً فصيحاً مفوها رحل إليه من الآفاق حدث عنه أبو عوانه في صحيحة وأبو حاتم بن حبان وأبو بكر الإسماعيلي وخلق كثير توفى سنة خمس وثلاثمائة .

---

(١) المرجع السابق : جـ١٤، ص: ١٩٧+ شدرات جـ١١، ص:٢٥٠ .
(٢) تاريخ بغداد : ص:+ تبيين كذب المفترى : ص:٣٥ .
(٣) مذاهب الإسلاميين : ص :١٤٢٩ .
(٤) سير أعلام النبلاء : جـ ١٤، ص:٢٠١+ شذرات الذهب جـ٢، ص:٢٤٧ .

- يقول أن عساكر: وأمام علم الحديث فقد سمع منه قدر ما تدعوه الحاجة إليه وحصل منه ما يسمع الاعتماد في الاستدلال عليه وقد روى في التفسير حديثاً كثيراً عن سهل بن نوح البصري.. وأبى خليفة الجمحي وأبى يحيي زكريا بن يحيي الساجي..[١]
- **زكريا الساجي**[٢] : هو الإمام الثبت الحافظ محدث البصرة وشيخها ومفتيها أبو يحيي زكريا بن يحيي عبد الرحمن البصري وكان من أئمة الحديث .. وعنه أخذ الأشعري مقالة السلف في الصفات واعتمد عليها أبو الحسن في عدة تآليف.
- **استنتاج** : يتبين من هذا أن الأشعري أخذ في البصرة علم الكلام علي طريقة الاعتزال وعلم الحديث كما أخذ الفقه الشافعي فيها أما في بغداد فقد درس الفقه الشافعي مما يدل علي أنه كان معتزلياً شافعيا في البصرة.

ب- تلاميذه:

ذكرهم ابن عساكر[٣] في كتابه وبين فضلهم وسأذكرهم إن شاء الله علي ترتيبه وهؤلاء هم أصحاب الذين أخذوا عنه ومن أدركه ممن قال بقوله:

١- أبوعبد بن مجاهد البصري:المتكلم صاحب أبي الحسن الأشعري وهومن أهل البصرة سكن ببغداد.

٢- أبو الحسن الباهلي : تلميذ الشيخ أبي الحسن الأشعري.

٣- أبو الحسين بندار : من الحسين الشيرازي الصوفي خادم أبى الحسن رحماهما الله (ت٣٥٣).

٤- أبو محمد الطبري : المعروف بالعراقي (ت٣٥٩)، يناظر علي مذهب الشافعي في الفقه وعلى مذهب الأشعري في الكلام .

٥- أبو بكر القفال الشاشي: سمع بخراسان وبالعراق (ت ٣٥٥) .

---

(١)تبيين كذب المفترى ص: ٤٠٠+سير علام النبلاء جـ١٥، ص:٨٦

(٢) سير أعلام النبلاء: جـ١٧، ص:١٩٧+ شذرات الذهب جـ١١ ، ص:٢٥٠ .

(٢) التبيين : من ص:١٧٧-٢٠٧ .

٦- أبو سهل الصعلوكي النيسابوري: رحل إلي العراق وقت الشيخ أبي الحسن ودرس عليه.[١]

٧- أبو زيد المروزي : ذكر ابن فورك انه ممن استفاد من أبى الحسن الأشعري..خرج إلي العراق. [٢]

٨- أبو عبد الله بن خفيف الشيرازي:(ت ٣٧١) .

٩- أبو بكر الجرجاني: (ت٣٧١) .

١٠- أبو الحسن عبد العزيز بن محمد ، بن إسحاق الطبري كان من أعيان أصحاب أبى الحسن ومن تخرج به. [٣]

١١- أبو الحسن علي بن محمد بن مهدي الطبري: صحب أبا الحسن رحمة الله بالبصرة مدة وأخذ عنه وتخرج به واقتبس منه. [٤]

١٢- أبو جعفر السلمى البغدادي النقاش: كان أحد المتكلمين علي مذهب الأشعري ومنه تعلم ت٣٧٩[٥]

١٣- أبو عبد الله الأصفهاني : المعروف بالشافعي سمع بالعراق وهو متكلم علي مذهب أهل السنة يتنقل مذهب أبى الحسن الأشعري : (ت٣٨١) [٦].

١٤- أبو محمد القرشي الزهري : المتكلم الأشعري(ت٣٨٢) .

١٥- أبو بكر البخاري : المعروف بالأود ني الفقيه(ت٣٨٥) .

١٦- أبو منصور بن حمشاء النيسابوري : (ت٣٨٨) .

١٧- أبو الحسين بن سمعون البغدادي المذكر : (ت٣٨٧) .

١٨- أبو عبد الرحمن الشروطي الجرجاني : (ت٣٨٩) .

١٩- أبو على الفقيه السر خسي : ﷺ (ت٣٨٩) .

---

(١) المرجع السابق : ص: ١٨٣

(٢) المرجع السابق : ص: ١٨٨

(٣) المرجع السابق : ص: ١٩٩

(٤) المرجع السابق : ص: ١٩٥

(٥) التبيين : ص: ١٩٦ + ١٧٧

(٦) المرجع السابق : ص:١٩٧ .

ج- أتبـاعـه :

لقد رزق الأشعري من الإتباع علماء أجلاء عرفوا بشرف المنزلة وبالتقوى، والاعتراف لهم بالعلم، منهم....الإمام أبو بكر بن الطيب الباقلاني المالكي، وأبو بكر محمد بن الحسن بن فورك والشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن مهران الاسفراييني وأبو إسحاق الشيرازي وأبو حامد الغزالي والشهر ستاني والإمام فخر الدين الرازي وغيرهم ممن يطول ذكره .

ونصروا مذهبه وناظروا عليه، وجادلوا فيه، واستدلوا له في مصنفات لا تكاد تحصر فانتشر مذهب أبى الحسن الأشعري في العراق من نحو سنة ثمانين وثلاثمائة وانتقل منه إلي الشام، فلما ملك الناصر صلاح الدين الأيوبي مصر كان هو وقاضيه صدر الدين علي هذا المذهب قد نشآ عليه منذ كانا في خدمة السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي الذي حرص علي أن يحفظ أولاده منظومة تتضمن آراء الأشعري كما حرص علي أن تصبح عقيدة الأشعري رسمية.. واتفق مع ذلك توجه أبى عبد الله محمد بن تومرت أحد رجالات المغرب إلي العراق وأخذ عن أبى حامد الغزالي، فلما رجع أخذ عنه المغاربة المذهب الأشعري .

وهكذا أصبح للأشعري أتباع في كل نواحي العالم الإسلامي من الشرق إلي أقصى المغرب. كما انتسب إلي مذهبهم المذاهب الفقهية ، من شافعية إذا كان هو شافعياً وما لكيه بواسطة القاضي أبى بكر بن الطيب الباقلاني، كما تبنى مذهبه الحنابلة إذا كانوا يعولون علي حججه وأدلته للرد علي أهل البدع .

د - مؤلفاته:

يحكى أن الأشعري كان قوياً في المناظرة والجدل غير أنه لم يكن كذلك في التصنيف يقول أبو محمد الحسن بن محمد العسكري:" وكان صاحب نظر في

المجالس وإذا إقدام علي الخصوم ولم يكن من أهل التصنيف وكان إذا أخذ القلم يكتب ربما ينقطع وربما يأتي بكلام غير مرضى..."[١]

والواقع أن الأشعري خلف لنا مؤلفات كثيرة أوصلها بعضهم إلي أكثر من مائتين وثلاثمائة مصنف وفي ذلك ما يدل علي سعة علمه وينبئ الجاهل به عن غزارة فهمه.[٢] علي أي ربما كان ذلك– رداءة تصنيفه – في أوليته كما قال ابن عساكر:"ومصنفات الأشعري كثيرة سألحق إن شاء الله أساميها بهذا البحث لكي لا أطبل وحسبي أن أذكر الموضوعات التي تناولتها " .

لقد وضع الأشعري نفسه موقع تصد لكل الآراء التي تخالف السنة وجاءت تصانيفه توفي لهذا الغرض ، فقد ألف الأشعري كتبا ردا علي المعتزلة **وهذه الردود أخذت اتجاهين:**

- **الأول:**نقوضا علي بعض كبار المعتزلة كالجبائي والبلخي والإسكافي والعلاف.
- **الثاني:** نقدا لآراء المعتزلة في خلق الأفعال والصفات وفي الاستطاعة وفي القدرة والتولد ورؤية الله والأسماء والأحكام وفي الجسم ، هذا إلي جانب تفسيره الذي يرد فيه على تأويلات الجبائي والبلخي لبعض الآيات . كما ألف الجبائي في الرد علي الفلاسفة وقولهم بقدم العالم وما ورد في كتاب ارسطوا أو ابرقلس، ثم رد علي الطبائعيين والدهريين والبراهمة والمجوس واليهود والنصارة الشيعة في إنكار النص وإثبات إمامة أبى بكر.

كما كتب الأشعري كتبا بين فيها مجمل عقائد الفلاسفة والإسلاميين وأهل السنة بموضوعية إضافة إلي كتب في علوم الشريعة كالقياس والاجتهاد وخبر الواحد...علي أن المعروف من كتبه وأظنها هي التي وصلت إليها أو على الأقل هي التي عنيت بالطبع والنشر والدراسة خمسة :

١– الإبانة عن أصول الديانة: حققتها الدكتورة فوقية .

---

(١) المرجع السابق : ص:٩٠.

(٢) التبيين : ص: ١٣٢ .

٢- مقالات الإسلاميين: عنى بتحقيقه محمد محيي الدين عبد الحميد .
٣- اللمع في الرد علي أهل الزيغ والبدع .
٤- رسالة في استحسان الخوض في علم الكلام .
٥- أصول أهل السنة والجماعة (برسالة أهل الثغر) حققها د: محمد السيد الجليد

هـ- عبادته وزهده:

الاشتغال بالعلم لم يكن مانعا قط من الاجتهاد في العيادة والحرص علي الطاعات لعلها الميزة التي يمتاز بها العلماء الأقدمون، والأشعري مما يروى عنه أنه كان كثير التعبد حتى قيل : أنه ظل قريباً من عشرين سنة يصلى الصبح بوضوء العتمة ولا يحكى عن اجتهاده شيئا إلي أحد[١] وفي هذا دلالة علي إخلاصه لله. كما يروى عن مناقبه الإمام أحمد بن علي الفقيه ويقول : خدمت أبا الحسن بالبصرة سنتين وعاشرته ببغداد إلي أن توفى رحمة الله فلم أجد أروع منه ولا أغض طرفا ولم أر شيخا أكثر حياء منه في أمور الدنيا ولا أنشط منه في أمور الآخرة.[٢]

ويروى ابن النديم أنه كان فيه دعابة ومزح كبير.[٣] وقال عنه ابن خلكان : وكان يأكل من غلة ضيعة وقفها جده بلال بن أبى بردة بن أبى موسى علي عقبة وكانت في كل يوم سبعة عشر درهما هكذا قاله الخطيب.[٤]

و- منزلته العلمية وأقوال العلماء فيه:

(١) تبيين كذب المفترى : ص:١٤١ .
(٢) المرجع السابق : ص:١٤١.
(٣) الفهرست ص: ٢٠٣.
(٤) وفيات الأعيان جـ١، ص:٤١٢ .

إن تتلمذ الأشعري علي المعتزلة ، واشتغاله بالكلام يدافع ، أكسبه ملكة قوية في المناظرة والبحث والاستدلال وقريحة في المناظرة والمعارضة جعلته يفوق أقرانه ومعاصريه.

وقد استغل مواهبه تلك المراجع عن الاعتزال في رده عليه ومناظرته لهم يقول تلميذه أبو عبد الله بن خفيف الشيرازي: دخلت البصرة ، وكنت أطلب أنا الحسن الأشعري فأرشدت إليه ولذا هو في بعض مجالس النظر، فدخلت فإذا جماعة من المعتزلة فكانوا يتكلمون ، فإذا سكتوا وانهوا كلامهم ، قال أبو الحسن الأشعري لواحد واحد قلت كذا وكذا والجواب عنه كذا وكذا إلي أن يجيب الكل، فما قام خرجت في أثره ، فجعلت أقلب طرفي فيه، فقال : ايش تنظر؟ فقلت : كم لسانا لك ؟ وكم أذنا لك؟ وكم عينا لك؟ فضحك وقال لي : من أين أنت؟ قلت : من شيراز، وكنت أصحبه بعد ذلك[1] .. وقد كان الأشعري إماماً في علم الكلام وأحد مؤسسيه يشهد بذلك أقوال العلماء فيه.

- **البغدادي في تاريخه**[2]، أبو الحسن الأشعري المتكلم صاحب التصانيف في الرد علي الملحدة وغيرهم من المعتزلة والرافضة والجهمية والخوارج وسائر أصناف المبتدعة .
- **الذهبي في سير أعلام النبلاء**[3] العلامة إمام المتكلمين أبو الحسن .. وكان عجباً في الذكاء قوة الفهم ولما برع في معرفة الاعتزال كرهه وتبرأ منه وصعد للناس فتاب إلي الله تعالى منه ثم أخذ يرد علي المعتزلة ويهتك عواورهم".
- **ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب**[4]، ومما بيض به وجوه أهل السنة النبوية وسود به رايات أهل الاعتزال والجهمية فأبان به وجه الحق الأبلج ولصدور أهل الإيمان والعرفان أثلج مناطرته مع شيخه الجبائي التي بها قصم ظهر كل مبتدع مرائي .

([1])تبيين كذب المفترى ص: ٩٤-٩٥.
([2]) جـ١١، ص:٣٤٦ .
([3]) ص: جـ١٥ ، ص:٨٥ .
([4])ص: جـ٢، ص:٣٠٧.

- **الباقلاني** : [١] أفضل أحوالي أن أفهم كلام الأشعري .
- **أبـو الحسـن البـاهلي**[٢] كنـت أنـا فـي جنـب الشـيخ الأشـعري كقطـرة جنـب البحر.
- **الـذهبي**[٣].. أخرج الله ﷻ من نسل أبـى موسـى الأشـعري dإماماً قام بنصره دين الله وجاهد بلسانه وبيانه من صد عن سبيل الله وزاد في التبيين لأهل اليقين أن ما جاء به الكتاب والسنة وما كان عليه سلف هذه الأمة مستقيم علي العقول الصحيحة والآراء .. ابن تيمية في مجموع الفتاوى .. الأشعري كان من أجل المتكلمين المنتسبين إلي الإمام أحمد ﷺ [٤]، بن خلدون في مقدمته : .. الشيخ أبو الحسن الأشعري إمام المكتلمين [٥].
-

ز- وفـاتـه[٦]:

اختلفت المصادر المترجمة للأشعري في تحديد سنة وفاته ، يجمل لنا ابن عساكر أقوالهم بقوله: وكانت وفاته سنة أربع وعشرين وثلاثمائة للهجرة ببغداد وقيل سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة وقيل سنة ثلاثين والأصح أنه مات أربع وعشرين وثلاثمائة وكذلك قال أبن فورك : " ودفن في مشرعة الزوايا في تربة إلي جانبها مسجد وبالقرب منها حمام وهو عن يسار المار من السوق إلي دجلة".

---

(١)تبيين كذب المفترى: ص:١٢٦

(٢)المرجع السابق : ص:١٢٥.

(٣)تبيين كذب المفترى: ص : ١٠٤

(٤) مجموع الفتاوى لأبن تيمية : جـ٣، ص: ٢٧٧ ، جمع وترتيل عبد الرحمن بن محمد بن قاسم بمساعدة أبنه نشر المكتب التعليمي السعودي.

(٥) مقدمة ابن خلدون : دار القلم الطبعة الرابعة ،١٩٨١، ص:٤٦٤ .

(٦) تبيين كذب المفترى: ص: ٥٦ .

الفصل الثاني
فــكره وعقــيدته

المبحث الأول : الأطوار الفكرية في حياة الإمام علي الحسن الأشعري :

لا شك أن الإنسان يتأثر بالبيئة المحيطة به ، إذ هي التي تتولى تكوينه ثم توجيهه فكرياً وعقيدياً، وأول من يتأثر بهم الإنسان هم أبواه وأسرته فلا يكاد ينفك من اعتناق أي فكر أو رأي أو عقيدة تتبناها أسرته وإلى هذا يشير قول رسول الله I : كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه[1] . وبعد ذلك يخرج الإنسان عن محيطة الصغير يحمل فكراً وعقيدة إلي محيط أكبر الذي يحمل عدة ترسبات فكرية وعقدية مما خلق نوعاً من التصادم والصراع بين فكره وفكر محيطه فيتحمس لفكره في فترة أولية تم بعد ذلك يحاول أو يوازن ويعدل ليمكنه التعايش مع مجتمعه الكبير. فكيف تأثر الأشعري بيئته الصغرى ؟ وكيف تطور فكر الأشعري؟

نقرر أولا أن الأشعري معتزلا ثم تحول ومن هنا يمكن أن نتكلم عن طورين فكريين في حياة الأشعري ، ولهذا سيكون موضوعاً في هذا الفصل يشمل النقاط التالية : الأشعري : مرحلة الاعتزال ثم تحول الأشعري وبعد ذلك أسباب هذا التحول . ثم المرحلة الثانية بعد الاعتزال.

المرحلة الأولى: مرحلة الاعتزال :

الطور الأول : الأشعري المعتزلي :

المتصفح لحياة الأشعري يجد أن بيئته الصغرى قد توالى عليها نمطان من التفكير النمط الأول يعنى بالعلوم النقلية والثاني بالعلوم العقلية .

١- **النمط الأول** : يتمثل في أبيه إسماعيل بن أبى بشر الذي كان سنياً حديثاً، ومما لا ريب فيه، أن أباه مات وهو لا زال صغيراً ، ولهذا يمكن أن نقول لم

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز : باب ما قيل في أولاد المشركين رقم الحديث : ١٣٩ ص : ٢٠٨ .

يكن لأبيه أي تأثير علي فكره، ولكنا نجد رواية تقول أن إسماعيل بن أبي بشر أوصى بابنه عند وفاته إلي زكريا بن يحيي الساجي، وبهذا يمكن أن نقول أن الأشعري قد أخذ علوم الإسلام الأولى من قرآن وحديث وفقه من علماء محدثين، وفقهاء شافعيين وتعبد علي مذاهبهم فيكون بذلك قد درس العلوم النقلية في فترة نشأته الأولى.

٢- **النمط الثاني:** يتمثل في زوج أمه أبى علي الجبائي الذي كان إماما من أئمة الاعتزال الذي يقوم علي المبادئ العقلية، كما أن الساحة العلمية كانت تسيطر عليها المعتزلة الشيء الذي حول توجيه الأشعري الفكري من العلوم النقلية إلي العلوم العقلية.

الفترة التي قضاها في الاعتزال:

تروى المصادر المترجمة للأشعري أنه نشأ علي الاعتزال وظل عليها أربعين سنة يدافع عليه وينوب عن أستاذه أبى علي الجبائي حتى ظن أن سيخلف زوج أمه. وقد حاولت المصادر بذلك أن تربط بين زواج أمه وولادته- إذ ولد سنة ستين ومائتين وخرج علي الاعتزال سنة ثلاث مائه – بل هناك من ذهب إلي أنه كان يتعبد علي المذهب الحنفي لأن الجبائي كان حنيفاً ولا شك أن هذا مردود إذا نجد أكثر شيوخه بل كلهم شافعية اللهم إلا شيخه الجبائي الذي كان إماما في الاعتزال والعلوم العقلية بينما الآخرون كانوا أئمة في الفقه والحديث والعلوم النقلية. كما أن هذا الرقم مبالغ فيه كان يظن الباحثون والمحققون ومما يرده رواية ابن عساكر الذي يقول فيها الأشعري عندما أمره الرسول I في منامه بترك الاعتزال : كيف أدع مذهبا تصورت مسائلة وعرفت أدلته منذ ثلاثين سنة[١] . علي أي فلا يمكن تحديد الفترة التي قضاها في الاعتزال لأننا لا نعرف متى تم زواج أمه ومتى توفى أبوه وحتى لا نقع في أخطاء نقول إنه ظل علي الاعتزال دهرا من الدهر ليس بالقصير.

تحول الأشعري : تحكى المصادر عن ثلاثة أحداث في تحول الأشعري :

(١) تبيين كذب المفترى : ص:٤١

١- مناظرته مع الجبائي ٢- رؤيا رآها في منامه ٣- اعتكاف الأشعري في بيته ثم إعلانه التحول

١- مناظراته مع الجبائي :

تدور أشهر مناظراته مع الجبائي حول وجوب الصلاح والأصلح علي الله وأسماء الله هل هي توقيفية؟

أ- وجوب الصلاح والأصلح علي الله :

- قال أبو الحسن سائلا أستاذه الجبائي:
- أيها الشيخ: ما تقول في ثلاثة مؤمن وكافر وصبي؟
- فقال الجبائي : المؤمن من أهل الدرجات والكافر من أهل الهلكات والصبي من أهل النجاة.
- فقال أبو الحسن الأشعري : فإن أراد الصبي أن يرقى إلي أهل الدرجات هل يمكن؟
- قال الجبائي : لا فإنه يقال له : إن المؤمن إنما نال هذه الدرجة بالطاعة وليس لك مثلها.
- قال الأشعري : فإن قال: التقصير ليس منى، فلو أحييتني كنت عملت الطاعات كعمل المؤمن.
- قال الجبائي : تقول له الله : أعلم أنك لو كنت بقيت لعصيت ولعوقبت فراعيت مصلحتك وأمتك قبل أن تنتهي إلي سن التكليف.
- قال الأشعري: فلو قال الكافر يارب علمت حاله كما علمت حالي، فهلا راعيت مصلحتي مثله.
- قال الجبائي: أنك مجنون . فرد الأشعري : بل وقف حمار الشيخ في العقبة[١]
- هذه المناظرة تحدد لنا المسار الذي سيسير عليه الأشعري في آرائه، ذلك أن العقل الإنساني قاصر علي الإحاطة بالحكمة في أفعال الله، وأن الفعل

(١) وفيات الأعيان جـ١١١ ، ص : ٣٩٨ .

الإلهي لا يخضع لتقييم العقل البشري ، وموازينه، ومن ثم فإن هذا المبدأ العام يحدد معلماً هاماً من معالم الفكر الأشعري ، فذهب إلي:

١- أمكانية تكليف ما لا يطاق فذلك جائز علي الله.

٢- جواز تعذيب الأطفال المشركين يوم القيامة فذلك من عدل الله[١] .

وهنا يختلف مفهوم العدل عند المعتزلة عنه عند الأشعري، إذا كان العدل عند المعتزل مبدأ رئيسيا في الفعل الإلهي وأصلاً يحكم المشيئة ، بينما هو مبدأ تابع للمشيئة لدى الأشعري.

ب- أسماء الله هل هي توفيقية :

يروى أن رجلا دخل علي الجبائي فقال له: هل يجوز أن يسمى الله عاقلا.

- **فقال الجبائي** : لا لأن العقل مشتقا من العقال وهو المانع والمنع في حق الله محال فامتنع الإطلاق.
- **قال أبو الحسن** : فقلت له: فعلى قياسك لا يسمى الله سبحانه حكيما لأن هذا الاسم مشتق من حكمة اللجام وهي الحديدة المانعة للدابة عن الخروج، فإذا كان اللفظ مشتقا من المنع علي الله محال لزم أن تمنع إطلاق أسم حكيم عليه سبحانه وتعالى.
- **فقال له الجبائي:** فلم منعت أنت أن يسمى الله سبحانه وتعالى عاقلاً وأجزت أن يسمى حكيماً؟
- **فقال له الأشعري** : لأن طريقي في مأخذ أسماء الله الإذن الشرعي دون القياس اللغوي، فأطلقت حكيماً ومنعت عاقلاً لأن الشرع منعه ولو أطلقه لأطلقته .[٢]
-

(١) في علم الكلام : ج١١، ص:٥٤ ، دراسة فلسفية المعتزلة الأشاعرة الشيعة للدكتور أحمد محمود صبحي نشر وتوزيع دار النهضة العربية ط٥، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م

(١) في علم الكلام : جـ١١ ، ص٥٦ .

من هذا يمكن أن نقول أن الأشعري اتخذ موقفا من الأسماء يتمثل في أنها توفيقية ولا مجال للعقل في تحديديها.

٢- حكاية الرؤيا:

في مقدمة الأسباب التي ذكر ابن عساكر في تحول الأشعري يذكر رواية عن أحمد بن الحسين المتكلم قال : سمعت بعض أصحابنا يقول : أن الشيخ أبا الحسن رحمة الله لما تبحر في كلام الاعتزال كان يورد الأسئلة علي أستاذيه في الدرس ولا يجد فيها جواباً شافي تحير في ذلك فحكي عنه أنه قال : وقع في صدري في بعض الليالي شيء مما كنت فيه من العقائد فقمت وصليت ركعتين وسألت الله تعالى أن يهديني الطريق المستقيم ونمت فرأيت رسول الله I في المنام فشكوت إليه بعض ما ني من الأمر فقال رسول الله I. عليك بسنتي فانتبهت وعارضت مسائل الكلام بما وجدت في القرآن والأخبار، فأثبته ونبذت ما سواه ورائي ظهرياً[١] .

وقد روى ابن عساكر حكاية الرؤيا بطرق مختلفة وجاء فيها أنه رأى رسول الله I ثلاث مرات في رمضان يأمره بنصره المذاهب المروية عنه وأنه الحق وأنه رآه في المرة الثالثة ليلة القدر يسأله: ما صنع فيما أمره فرد عليه أنه قد ترك الكلام ولزم كتاب الله وسنة رسوله I فاستنكر ذلك منه رسول الله I فقال: أنا أمرتك بترك الكلام؟ إنما أمرتك بنصره المذاهب المروية عنى فإنها الحق فقلت: يا رسول الله I ، كيف أدع مذهباً تصورت مسائلة وعرفت أدلته منذ ثلاثين سنة لرؤيا ؟ فقال لي: لولا أني أعلم أن الله يمدك بمدد من عنده لما قمت عنك حتى أبيت لك وجوهها، وكأنه تعد أتياني إليك هنا رؤيا أو رؤيا جبريل كانت رؤيا؟ إنك لا تراني في هذا المعنى بعدها فجد فيه فإن الله سيمدك بمدد من عنده . [٢]

ويبدو أن أحمد أمين لم يقتنع بهذا كما ذهب الأستاذ جلا محمد عبد الحميد إلي أن هذه الروايات هي من تلفيق ابن عساكر وأتباع الأشعري . كما

(٢) تبيين كذب المفترى : ص:٣٩ .
(٢) المرجع السابق : ص٤٠-٤١ .

يرى الكوثري أن لا يؤخذ علي كتاب ابن عساكر سوى إكثاره من ذكر رؤيا الصالحين في الموضوعات العلمية[١] .كما تلك عدد من الباحثين والمحققين في هذه المسألة خصوصا وأنها أتت من إتباع الأشعري الذي يهمهم أن يضفوا علي المذهب الأشعري قداسة دينية وأنه المذهب المروي عن الرسول I ، إذا رؤيته حق ولكن لا يمكن أن تستبعد هذا أو نرفضه علي أساس أن المسلم إذا تحبر أو شك في أمر بتسخير الله ويتلمس الهداية من الله وقد تأتيه تلك الهداية في المنام .

علي أن يمكن أن نلتمس من قصة الرؤيا حسب رأي أحمد محمود صبحي أنها كانت هداية من الله وأن المذهب الأشعري أقواله هي من توفيق الله ﷻ كما تقدمه علي أساس أنه الدين الحق وكل ما خالفه فهو كفر كما أنها تشجع علم الكلام والخوض فيه[٢] .

٣- اعتكافه في بيته وإعلانه الخروج علي الاعتزال:

يروي ابن عساكر، أن الأشعري تغيب عن الناس في بيته خمسة عشر يوما وبعد ذلك خرج غلي الجامع فصعد المنبر وقال: معاشر الناس إني إنما تغيبت عنكم في هذه المدة لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة ولم يترجح عندي حق على باطل ولا باطل علي حق فاستهديت الله تبارك وتعالى فهداني إلي اعتقاد ما أودعته في كتبي هذه وانخلعت من جميع ما كنت اعتقده كما انخلعت من ثوبي هذا وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به ودفع الكتب إلي الناس فمنهما اللمع وكتاب أظهر فيه عوار المعتزلة سماه بكتاب كشف الأسرار وشك الأسرار وغيرهما.[٣]

كما يروى أبن النديم أن الأشعر يدخل المسجد الجامع بالبصرة في يوم الجمعة ورفي كرسيا ونادي بأعلى صوته من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني

(١) مقدمة كتاب التبيين بقلم الكوثري : ص: ٢١
(٢) تبيين كذب المفترى : ص:٣٩ .
(٣) الفهرست لأبن النديم : ص ٢٥٧ .

فأنا أعرفه بنفسي أنا فلان بن فلان كنت أقول بخلق القرآن وأن الله لا يرى بالأبصار وأن أفعال النشر أنا أفعلها وأنا تائب مقلع معتقد للرد علي المعتزلة مخرج لفضائحهم ومعاييبهم[١] إذن كان هذا أول إعلانه عن خروجه عن الاعتزال وكان مفاجئ علي ما يبدو إلا أنه سبقته حيرة وشك كانا يعتملان في نفس الأشعر لا يتجليان في رواية الرؤيا حين كان يورد الأسئلة علي شيخه ولا يجد جواباً شافياً. وقد عد الباحثون، أن هذه الأسباب غير مقنعة وغير موضوعية مما جعلهم يبحثون عن أسباب حقيقة لتحول الأشعري إلى ماذا توصلوا ؟ هذا ما سنحاول أن نبينه في النقطة التالية[٢]:

▪ أسباب تحول الأشعري:

لقد ذهب الباحثون والمحققون إلى أن انتماء الأشعري مذهب الشافعي واشتمال مذهب الشافعي علي بعض نقاط لا تتفق ورأى المعتزلة ربما كان ذلك سببا مهد للأشعري دراسة مذهب أهل السنة دراسة واعية لا تعصب فيها ولا انحياز. [٣] وذهب إلي هذا الرأي الدكتور أحمد محمود صبحي إذ أنه لا بد أن يتسق الموقف الكلامي مع المذهب الفقهي لذلك ندر أن يكون بين المعتزلة مالكي أو شافعي وربما استحال أن يكون بينهم حنبلي فالأغلبية الساحقة أحناف أصحاب الرأي والقياس . ويقول: علي أن التحول المذهبي إنما يرجع إلي عاملين متناقضين يتصارعان في النفس ولا يمكن لهما أن يتعايشا معا: لقد ظل الأشعري علي مذهب الاعتزال أربعين سنة أو على الأصح إلى سنة الأربعين فضلا عن أباه كان من رجال الحديث. لقد تفقه علي يد أبى إسحاق المروزي، وروى الحديث عن تلميذ والده زكريا الساجي، ولقد كان الاتجاهات متنافران سواء بين الاعتزال وشافعية المذهب أو بين المعتزلة ورجال الحديث فلقد ذم الشافعي علم الكلام وكان يعنى بذلك المعتزلة، وقد هاجمهم في بعض كتبه ولم يقبل

(١) أحمد أمين في ظهر الإسلام : ص: ٦٦+ أحمد محمود صبحي في علم الكلام + جلال محمد عبد الحميد موسى .

(٢) في علم الكلام دراسة فلسفية لأهم الفرق الكلامية.

(٣)كبرى الفرق الفكرية والسياسية في الإسلام : ص. ٤٥ .

شهادتهم ومن ثم فقد كان من المتعذر أن يظل معتزلياً .. لقد ترجحت لديه آراء الشافعي الكلامية علي تعاليم الاعتزال ولا شك أن مكانة الشافعي الدينية تفوق مكانة أي شيخ من شيوخ المعتزلة [١] .

وقد ذهب إلي أبعد من هذا الدكتور هاشم معروف الحسنى ، وجعل مسألة تنافر المذهب ألمعتزلي والمذهب الشافعي وعدم اتفاقهما تدفعه ليقول أنه ليس من المستبعد أن يكون الأشعر منذ بدأ دراسة الاعتزال واتصل بشيوخ معتزلة حتى المرحلة الأخيرة لم يكن يؤمن بنظرياتهم ولا بمناهجهم التي سلكوها في مقام البحث والاستدلال وإنما اتصل بهم وتعمق في دراسة آرائهم ومناهجهم التي سلكوها في مقام البحث والاستدلال والمناظرة لعرض الرد عليها والانتصار للمحدثين الذين كانوا هدفاً لنقمة المعتزلة وأعوانهم[٢] .

كما بورد الأستاذ أحمد محمود صبحي سببا آخر يفسر به تحول الأشعري حيث يقول : لا يمكن إغفال العصر فقد كانت تسود العصر حاجة فكرية ملحة إلي الحلول الوسطي والآراء المعتدلة وليس أدل علي ذلك من ظهور ثلاثة معاصرين متفقين في نزعة التوسط بين العقل والنقل متقاربين في أرائهم الكلامية، أبو الحسن الأشعر في العراق وأبو جعفر الطحاوي في مصر وأبو منصور الماتريدي في بلاد ما وراء النهر[٣] .

المرحلة الثانية : ما بعد التحول :

تميزت هذه المرحلة من حياة الأشعري بكثرة التصانيف التي تشمل ردوداً علي المعتزلة وأهل البدع المخالفين للمذهب السني ، والكتب الخمسة التي بين أيدينا كلها من مصنفات هذا الطور. ويثبت المصنفون للأشعري طورين فكريين:

الطور الأول : الكلام علي طريقة ابن كلاب :

في هذا الطور أقبل الأشعري على كتب أهل السنة ثم كتب بعض المصنفات أثبت فيها كثيراً مما نفته الجهمية والمعتزلة وأول بعض الصفات متبعاً

(١) في علم الكلام : جـ١١ ، ص٤١– ٤٢ .
(٢) الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة ، ص:١٢٢ .
(٣) في علم الكلام : جـ١١، ص:٥٥ .

ابن كلاب وإتباعه كالقلانسي المحاسبي ، الذين كانوا قبل الأشعري من متكلمي أهل السنة.

وممن أثبت للأشعري هذا الطور نذكر الذهبي إذا يقول أن الأشعري لحق بالكلابية وسلك طريقهم كما ذهب إلي هذا المقريزي بقوله بعد أن حكى خبر إعلانه الخروج علي الاعتزال .. وسلك بعض طريق أبى محمد عبد الله ابن محمد بن سعيد بن كلاب القطاني وبنى علي قواعده[١] . ويقول ابن تيمية : .. وكان أبو الحسن الأشعري لما رجع عن الاعتزال سلك طريق أبى محمد بن كلاب[٢] ومال إلي أهل السنة والحديث .

ومن الأشياء التي وافق الأشعر عليها طريق ابن كلاب ونسج عليها قوانينه:

١- إثبات الصفات الأزمة التي تقوم بذاته تعالى كالعلم والقدرة والسمع والبصر.

٢- يقول ابن تيمية : ولكن لما حدث أبو محمد بن كلاب وناظر المعتزلة بطريقة قياسية سلم لهم فيها أصولهم واضعوها، من امتناع تكلمه تعالى بالحروف، وامتناع قيام الصفات الاختيارية بذاته، مما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال والكلام وغير ذلك لأن ذلك يستلزم أنه لم يخل من الحوادث، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث اضطره ذلك إلي أن يقول ليس كلام الله إلا مجرد المعنى وأن الحروف ليست من كلام الله وتابعه علي ذلك أبو الحسن الأشعري[٣] .. فقال الأشعري أن كلام الله معنى قائم بذات الله وهو الأمر بكل مأمور أمر الله به والخبر عن كل مخبر أخبر الله عنه إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة وإن عبر عنه بالسريانية كان أنجيلا[٤] . ويبرر أبن تيمية موقف الأشعري في إتباعه طريق ابن كلاب يقول: لكن خبرية بالكلام خبرة مفصلة وخبرته

(١) الخطط : جـ١١١، ص:٣١٤ .
(٢) مجموع الفتاوى : لابن تيمية جـ: ٥ص:٥٥٦.ج٣ص:١٠٣.
(٣) المرجع السابق : جـ١٢، ص:٣٧٦ .
(٤)المرجع السابق : جـ١٢ ، ص:١٦٥

بالسنة خبرة مجملة فلذلك وافق المعتزلة في بعض أصولهم التي التزموا لأجلها خلاف السنة وأعتقد أنه يمكنه الجمع بين تلك الأصول وبين الانتصار للسنة في مسألة الرؤية والكلام والصفات الخبرية وغير ذلك.[١]

٣- وكنتيجة لهذا القول نورد قول ابن تيمية: وهذا القول يوافق قول المعتزلة ونحوهم في إثبات خلق القرآن العربي وكذلك التوراة العبرية ويفارقه من وجهين أحدهما أن أولئك يقولون إن المخلوق كلام الله وهؤلاء يقولون أنه ليس كلام الله لكن يسمى كلام الله مجازاً.

٤- أصل أبن كلاب ومن وافقه كأبي الحسن الأشعري أن الرب لا يقوم به ما يكون بمشيئته وقدرته ويعبرون عن هذا بأنه لا تحله الحوادث[٢] .

الطور الثاني : الرجوع التام إلي مذهب السلف

لقد مكث الأشعري زمانا علي طريقة أبن كلاب، يرد علي المعتزلة وغيرهم وأكثر مؤلفاته كانت في ذلك الطور إلي أن من الله عليه بالحق فنرو بصيرته بالرجوع إلي مذهب أهل السنة والسلف في إثبات كل ما ثبت بالنص من أمور الغيب. وممن أثبت له هذا الطور نذكر:

- **الحافظ الذهبي**: .. وقلت رأيت لأبى الحسن أربعة تواليف في الأصول يذكر فيها قواعد مذهب السلف في الصفات وقال فيها تمر كما جاءت ثم قال : وبذلك أقول وبه أدين ولا تؤول[٣] .
- **الإمام أبن تيمية**: .. وبينت لهم أن الأشعري كان من أجل المتكلمين المنتسبين إلي الإمام أحمد بن حنبل ونحوه، المنتصر لطريقته كما ذكر الأشعري ذلك في كتبه[٤] .

---

(١)المرجع السابق : جـ١٢، ص:٢٠٤ .
(٢)المرجع السابق : جـ٥، ص ٤١٠ .
(٣)سير أعلام النبلاء: جـ١٥، ص٨٦
(٤) مجموع الفتاوى : جـ٣ ، ص٢٢٧ .

- **العلامـة أبـن القـيم الجوزيـة** : فـي كتابـه : اجتمـاع الجيـوش الإسـلامية حيـث جمع مؤلفه من كتائب المسلمين وجيوشهم من أهل السنة والجماعة بدءا من الصحابة الأجلاء حتى أهل اللغة وقف بهم ضد الباطل من أهل التعطيل والتجهم والتأويل(١) فذكر من بينهم قول الإمام أبى الحسن الأشعري.
- **الشـيخ نعمـان الألـو سـي:** قـال الوالـد إن مـذهب الأشـعري عنـد كثيـر مـن المحققين والعلماء المنصفين هو مذهب الإمام أحمد بن حنبل (٢) .
- **العلامـة محـب الـدين الخطيـب:** المعروف من حياة أبى الحسن الأشعري أنه مرت به ثلاث أدوار:

الأول : أنه كان مع المعتزلة في البصرة

الثاني : يقظته لفساد مذهبهم لكنه دخل معهم في جدل طويل بأساليبهم واقيستهم وقد أستمر علي ذلك نحو من عشرين سنة ، ألف فيها أكثر كتبه ومن هذا الجدل مع المعتزلة ومن هذه الكتب نشأ المذهب المنسوب إليه، وهو الذي اضطر شيخ الإسلام وتلميذه أبن القيم إلي إدحاضه والتنبيه علي ما يخالف منه مذهب السلف.

أما الدور الثالث من حياة الأشعري: فهو الذي ختم الله به حياته بالحسنى، بعد انتقاله من البصرة إلي بغداد واتصاله بأهل الحديث، وأتباع الإمام أحمد ابن حنبل، وفي هذه الحقبة ألف مقالات (الإسلاميين والإبانة)، ولا نشك أن الإبانة من آخر مصنفاته إن لم تكن أخرها، كما نص عليه مترجموه ففي هذين الكتابين، مذهبه الذي أراد أن يلقى الله عليه، والذي كان عليه في البصرة ، وهو الذي اشتهر عنه وبقى مشويا إليه وهو برئ منه كبراءته من اعتزال الذي كان من رجاله في صدر حياته (٣) .

---

(١) مقدمة اجتماع الجيوش الإسلامية لأبن القيم الجوزية، ص: ٣ ، تحقيق أبو حفص سيد بن إبراهيم بن صادق بن عمران، نشر دار الحديث.

(٢)جلاء العينين ، ص: ٢١٥ .

(٣) معا رج القبول شرح سلم الوصول إلي علم الأصول في التوحيد : للشيخ حافظ بن أحمد حكمي ، نشر دار الكتب العلمية، ص :٢٨٢ .

- الدكتور محمد أمان بن علي الجامعي.. وعلم الرجال رجوع أبى الحسن الأشعري عن الاشتغال بعلم الكلام إلي الانتصار إلي مذهب السلف والدفاع عنه [١].
- ابن العماد الحنبلي: بعد أن بسط عقيدة الأشعري قال: ولعمري عن هذا الاعتقاد هو ما ينبغي أن ينبغي أن يعتقد ولا يخرج عن شيء منه إلا من قلبه غش ونكد وأنا أشهد الله علي أني أعتقده جميعه وأساله الله الثبات عليه[٢]

كتابيه اللمع والإبانة :

لقد ذهب بعض الباحثين إلي أن طوره الثاني يمثله كتابه اللمع أما الطور الثالث فيمثله كتاب الإبانة علي اعتبار أن كتاب اللمع هو من بين الكتب التي ألقاها علي الناس يوم إعلانه الخروج علي الاعتزال بينما ذهب فريق آخر إلي أن كتابه الإبانة أسبق من كتاب اللمع علي اعتبارات يمكن أن نجملها فيما يلي:

١- أن الكتاب المسمى بالإبانة نلتمس فيه خصومة قوية علي المعتزلة وعرضاً مشوهاً لأرائهم وأفكارهم من ذلك تكفيره إياهم لقولهم بخلف القرآن ومن ذلك أيضا اتهماه لهم بأنهم اثبتوا خالقين لقولهم بحرية الإرادة وتشبيهه لهم بالمجوس. فطبيعة التحول المذهبي لا تعرف عادة الاعتدال وغنما انتقال من تأييد إلي عداوة واشد ما تكون العداوة عقب التحول .

٢- تكلم كتاب الإبانة عن القرآن والرؤية والإرادة والموضوعين كانا يشغلان الفكر الإسلامي في عصر الأشعري وهما من المسائل التي حاولت المعتزلة أن تنشرهما ، أما كلامه عن الإرادة فلأنها تعد المسالة الرئيسية التي بنى عليها الأشعري عقيدته في مسألة خلق الأفعال وهي ثالث قضية شغلت الفكر الإسلامي ولذلك كان الأشعري أول ما أعلن التحول أعلن خروجه عن القول بخلق القرآن ونفى رؤية الله وأن الإنسان يخلق أفعاله.

---

(١) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه:دكتور محمد أمان بن علي الجامعي،الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة ١٤٠٨ ، ص:١٥٧

(٢) شذرات الذهب : جـ٢، ص: ٣٠٥ .

٣- أن كتابه اللمع جاء تفصيلا لآرائه في الإبانة فتكلم عن خلق الله لأفعاله والاستطاعة والتعديل والتحوير وصفات الله من علم وحياة وقدرة إرادة ومعنى الإيمان .. ألخ.

أما موقف هؤلاء العلماء من الرواية التي ذكرها ابن عساكر أن الإبانة كان من الكتب التي ألقاها علي الناس، فإنهم أبوا تصديقها وقالوا أنه ليس من المعقول أن يغيب خمسة عشر يوماً، يوازن ويعارض بين الآراء ويؤلف أكثر من كتابين يحملون مذهباً جديداً مخالفا لما كان عليه.

وعلى أي فآيا كان الإبانة أو اللمع اللاحق والأسبق فتبقى من المصادر التي تعبر عن آراء الأشعري ومذهبه العقدي ولا نرى تعارضاً بين آرائه في كتابيه اللهم اختلافاً في المنهج الذي سلكه ففي الإبانة نراه يقدم عقيدة وبين الأصول التي أخذها منها ثم يبطل قول خصومة كما نجد في الإبانة العديد من النصوص القرآنية والحديثية وتغلب النص علي الأدلة العقلية أما في اللمع فنرى فيه الأدلة العقلية هي التي تسرد أولا في المسألة ثم الأدلة النقلية.

وفي رأيي أن طبيعة موضوعي الكتابين هما اللتان فرضتا علي الأشعري سلوك الطريقين فالإبانة موضوعة البحث وعرض أصول الدين فالنص أولا ثم العقل .

أما كتابه اللمع في الرد علي أهل الزيغ والبدع فموضوعة كما هو واضح الرد على المبتدعة والزائفين علي الحق رداً فرض عليه أن يستخدم نفس المنهج ونفس السلاح فلما كانوا يقدمون الأدلة العقلية ويؤولون علي مقتضاها الأدلة النقلية قدم الأدلة العقلية في الاستدلال وبين أنها توافق الأدلة النقلية فالعقل الصريح يوافق النص الصريح. كما أننا لا نجد في كتابه اللمع أنه موافق لأبن كلاب في مسالة كلام الله أو قيام الأفعال الاختيارية بذاته ..الخ، مما يجعلني أقول أنه من المحتمل أن يكون كتاب اللمع من مؤلفاته في الطور الثالث، ويبقى الشيء الأكيد هو أن الإبانة هو من آخر مصنفاته إن لم يكن أخرها. وما جاء فيه هو الذي يتناسب مع طبيعة اعتقاده في الطور الثالث.

المبحث الثاني : عقيدته في طوره الثالث

ذكر الأشعري عقيدته مجملة في مقدمة كتابه الإبانة نوردها كما نص عليها: وجملة قولنا:

- إنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاءوا به من عند الله.
- وما رواه الثقات عن رسول الله I ، ولا نرد من ذلك شيئاً.
- وأن الله ﷻإله واحد لا إله إلا هو فرد صمد، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً.
- وأن محمداً عبده ورسوله I ، أرسله بالهدى ودين الحق .
- وأن الجنة حق والنار حق .
- وأن الساعة آتية لا ريب فيها.
- وأن الله يبعث من في القبور .
- وأن الله مستو علي عرشه كما قال: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى**﴾ .
- وأن له يدين بلا كيف كما قال : ﴿ **خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ كما قال: ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾.
- وأن له عينين بلا كيف كما قال : ﴿ **تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا** ﴾ .
- وأن من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالاً .
- وأن لله علما كما قال: ﴿ **أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ**﴾ ، وكما قال: ﴿ **وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ**﴾.
- ونثبت لله السمع والبصر ولا نفى ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج.
- ونثبت أن لله قوة كما قال: ﴿ **أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً**﴾ .
- ونقول إن كلام الله غير مخلوق.
- وأنه لم يخلق شيئا إلا وقد قال له"كن" كما قال:﴿ **إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾.
- وأنه لا يكون في الأرض شيء من خير وشر إلا ما شاء الله، وأن الأشياء تكون بمشيئة الله ﷻ.

- لا يستطيع أحدا أن يفعل شيئا قبل أن يفعله،ولا يستغنى عن الله ولا يقدر علي الخروج عن علم الله ﷻ.
- وأن لا خالق إلا الله .
- وأن أعمال العبد مخلوقة لله مقدرة كما قال: ﴿ **خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ .
- وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئا وهم يخلقون كما قال: " وهل من خالق غير الله"، وكما قال: ﴿**لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ**﴾ ، وكما قال: ﴿ **أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ**﴾، وكما قال: ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ**﴾ ، وهذا في كتاب الله كثير.
- وأن الله وفق المؤمنين لطاعته ولطف بهم ونظر إليهم وأصلحهم وهداهم ، وأضل الكافرين ، ولم يهديهم ولم يلطف بهم بالآيات كما زعم أهل الزيغ والطغيان ، ولو لطف بهم وأصلحهم لكانوا صالحين ، ولو هداهم لكانوا مهتدين.
- وأن الله قادر أن يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم وخذلهم وطبع علي قلوبهم.
- وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره، وأنا نؤمن بقضاء الله وقدره خيره وشره، حلوه ومره، ونعلم أن ما أخطأنا لم يكن ليصيبنا، وأن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا.
- وأن العباد لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا بالله كما قال ﷺ: "ونلجئ أمرنا إلي الله ونثبت الحاجة والفقر في كل وقت إليه".
- ونقول: إن كلام الله غير مخلوق وإن من قال بخلق الله فهو بكافر.
- وندين بأنا لله تعالى يرى في الآخرة بالأبصار كما يرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله I ، ونقول "إن الكافرين لمحجوبون"، عنه إذاً رآه المؤمنون في الجنة كما قال ﷺ ﴿**كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**﴾ وأن موسى عليه السلام سأل الله ﷻالرؤية في الدنيا ، وأن الله سبحانه تجلى للجبل فجعله دكا، فأعلم بذلك موسى أنه لا يراه في الدنيا.

- وندين بأن لا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب يرتكبه. كالزنا والسرقة وشرب الخمور – كما دانت بذلك الخوارج وزعمت أنهم كافرون . ونقول إن عمل غير كبيرة من هذه الكبائر مثل الزنا والسرقة وما أشبهها – مستحلاً لها غر معتقد لتحريمها كان كافراً .
- ونقول إن الإسلام أوسع من الإيمان ، وليس كل إسلام إيماناً .
- وندين لله ﷻ بأنه يقلب القلوب بين إصبعين من أصابع الله ﷻ، وأنه ﷻ يضع السماوات علي إصبع والأرضيين علي إصبع كما جاءت الرواية عن رسول الله I.
- وندين بأن لا ننزل أحدا من أهل التوحيد والمتمسكين بالإيمان جنة ولا ناراً إلا من شهد له رسول الله I بالجنة، ونرجوا الجنة للمذنبين، ونخاف عليهم أن يكونوا بالنار معذبين.
- ونقول إن الله ﷻ يخرج قوماً من النار، بعد شفاعة رسول الله I تصديقاً لما جاءت به الروايات عن رسول الله I.
- ونؤمن بعذاب القبر وبالحوض وأن الميزان حق، والصراط حق، والعبث بعد الموت حق، وأن الله ﷻيوقف العباد في الموقف ويحاسب المؤمنين.
- وأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص.
- ونسلم بالروايات الصحيحة عن الرسول I التي رواها الثقات عدل من عدل حتى تنتهي إلي الرسول I.
- وندين بحب السلف الذين اختارهم الله لصحبة نبيه I ونثنى عليهم بما أثنى الله به عليهم ونتولاهم أجمعين.
- ونقول: إن الإمام الفاضل بعد رسول الله I (أبو بكر الصديق) d ، وإن الله أعز به الدين وأظهره علي المرتدين، وقدمه المسلمون بالإمامة كما قدمه رسول اللهI للصلاة، وسموه بأجمعهم " خليفة رسول الله I " ثم عمر بن الخطاب d، ثم عثمان بن عفان d، وأن الذين قاتلوه ظلما وعدوانا ، ثم علي بن أبي طالب d، فهؤلاء الأئمة بعد رسول الله I وخلافتهم خلافة النبوة.

- ونشهد بالجنة للعشرة الذين شهد لهم رسول الله I بها.
- ونتولى سائر أصحاب النبي I ، ونكف عما شجر بينهم ، ونديم لله بأن الأئمة الأربعة خلفاء راشدون مهديون فضلاء لا يوازيهم في الفضل غيرهم. ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها أهل النقل من النزول إلي السماء الدنيا وأن الرب ﷻيقول: " هل من سائل.. هل من مستغفر؟" وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافا لما قال أهل الزيغ والتضليل.
- ونعول فيما اختلفنا فيه علي كتاب ربنا، وسنة نبينا، وإجماع المسلمين وما كان في معناه.
- ولا نتبد ع في دين الله ما لم يأذن لنا، ولا نقول علي الله ما لا نعلم.
- ونقول : عن الله ﷻ يجئ يوم القيامة كما قال: ﴿ **وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفاً صَفاً**﴾
  - وإن الله ﷻ يقرب من عباده كيف شاء كما قال: ﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ**﴾، وكما قال: ﴿**ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى** ﴾.
- ومن ديننا أن نصلى الجمعة والأعياد وسائر الصلوات والجماعات خلف كل بر وغيره كما روى عن عبد الله بن عمر كان يصلى خلف الحجاج.
- وأن المسح علي الخفين سنة في الحضر والسفر خلافا لقول من أنكر ذلك.
- ونرى الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح والإقرار بإمامتهم، وتضليل من رأى الخروج إذا ظهر منهم ترك الاستقامة.
- وندين بإنكار الخروج بالسيف وترك القتال في الفتنة.
- ونقر بخروج الدجال كما جاءت به الرواية عن رسول الله I.
- ونؤمن بعذاب القبر، ونكير ومنكر ومساءلتهما المدفونين بقبورهم.
- ونصدق بحديث المعراج .
- ونصحح كثيراً من الرؤيا في المنام ونقر أن لذلك تفسيراً.
- ونرى الصدقة عن موتى المسلمين والدعاء لهم ونؤمن بأن الله ينفعهم بذلك.
- ونصدق بأن في الدنيا سحرة وسحراً وأن السحر كائن موجود في الدنيا.
- وندين بالصلاة علي من مات من أهل القبلة برهم وفاجرهم وتوارثهم.

- ونقر أن الجنة والنار مخلوقتان.
- وأن من مات وقتل فبأجله مات وقتل.
- وأن الأرزاق من قبل الله ﷻ يرزقاهما عباده حلالاً وحراماً.
- وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويسلكه ويتخبطه، خلافاً لقول المعتزلة والجهمية كما قال الله ﷻ: ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ** ﴾ . وكما يقال ﴿ **مِن شَرِّ الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ، مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ** ﴾.
- ونقول إن الصالحين يجوز أن يخصهم الله ﷻ بآيات يظهرها عليهم.
- وقولنا في أطفال المشركين عن الله يؤجج لهم في الآخرة نارا ثم يقول لهم:اقتحموها ، كما جاءت بذلك الرواية.
- وندين لله ﷻ بأنه يعلم ما العباد عاملون وإلي ما هو صائرون ، وما كان وما يكون وما لا يكون أو لو كان كيف يكون.
- وبطاعة الأئمة وبصحبة المسلمين.
- ونرى مفارقة كل داعية إلي بدعة ومجانية أهل الهوى

الفصل الثالث
المنهج العقدي عند الإمام أبي الحسن الأشعري

يمثل المنهج أحد الأركان الأساسية لقيام أي علم من العلوم، بل هو أهم هذه الأركان فالعلم منهج أكثر منه تطبيقا، وفي علم الكلام استندت مذاهب العلماء إلي المنهج إذ المذهب ليس إلا تطبيقا، ولدا ارتأيت أن أقدم المذهب العقدي للإمام أبى الحسن الأشعري مصحوبا بمنهجه في إثباته.

ولقد اختلفت السبل وتعددت المناهج في الاستدلال علي مسائل العقيدة إذ هي غيبيات يجب الإيمان بها، فذهب أناس إلي تقديم الجانب العقلي علي الجانب السمعي ونحص بالذكر هنا المعتزلة، إذا اعتبروا العقل هو الأساس الذي يجب أن يكون منطلقا لإثبات مسائل العقيدة، وجعلوه أساسا لفهم النص فأولوا وعطلوا كل النصوص التي تختلف والأصول التي بنوا عليها عقيدتهم ، فالصق بهم بذلك أسم المعطلة، وقد كانوا يلجئون إلي تأويل جميع الصفات التي توهم التشبيه تنزيها لله تعالى عن مشابهة المخلوقين كما جعلوا العبد خالقا لأفعاله تحقيقا لمبدئهم الثاني وهو العدل.

وفي المقابل ظلت السمة الأساسية لأهل السنة والسلف الصالح أنهم يوافقون ويقرون بكل ما جاء به الكتاب والسنة جملة وتفصيلا مع التسليم الكامل والانقياد التام ، لكل ما وصف الله تعالى به نفسه المقدسة أو وصفه به نبيه I في الأحاديث الصحيحة الثابتة عنه. وكان منهجهم في الصفات : أنهم يثبتون جميع الصفات الواردة في كتاب الله تعالى وسنة نبيهI من غير تحريف ولا تكييف ولا تمثيل وإمرارها كما وردت في الكتاب والسنة يمثل منهجهم هذا رد الإمام مالك عمن سأله عن الاستواء فقال : الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة. أما الميزة الثانية في الصفات فهي تنزيهه تعالى عن مشابهة المخلوقات في جميع صفاته فكما أن له ذاتا لا تشبه ذوات المخلوقين فكذلك صفاته، ثم اليأس وقطع الطمع في إدراك كيفية صفات

الله تعالى. ولقد كان الدافع للمعتزلة إلي التأويل هو تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين فأدخلوا بذلك العقل في مجال المعرفة مما دفعهم إلي التأويل وتعطيل كل الآيات الموهمة للتشبيه. أما أهل السنة فقد ذهبوا إلي أن العقل من الممكن أن يتوصل به إلي وجود الله ولكن ليس من الممكن التوصل به إلي إدراك ذات الله وصفاته بل كان معتمدهم في ذلك السمع دون العقل.

من المعروف أن الأشعري تربى علي أيدي المعتزلة وكان أحد أقطابهم ورجال العقل ولما تحول عن الاعتزال رجع إلي مذهب السلف الصالح وأهل السنة. نتلمس ذلك في مقالته في الإبانة ، قولنا الذي يقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب الله.." **فهل معنى هذا أنه أسقط العقل من مجال المعرفة كلية؟** سؤال يجعلنا نبحث عن موقفه من العقل والنقل:

المبحث الأول : موقفه من مسألة وجوب النظر أو " العقل والنقل"

يقول الأشعري في مقدمة كتابه الإبانة: أما بعد فإن الزائغين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر.. مالت بهم أهواؤهم إلي تقليد رؤسائهم ، ومن مضى من أسلافهم، فتأولوا القرآن علي آرائهم تأويلا لم ينزل الله به سلطانا، ولا أوضح به برهانا، ولا نقلوه عن رسول الله I ، ولا عن السلف المتقدمين[1] ..." وفي المقابل ذكر عقيدته بأنها عي عقيدة أهل الحق والسنة في باب ذلك عنوانه فقال : قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها، التمسك بكتاب ربنا ﷻ وسنة نبينا ﷺ، وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ، ورفع درجته، وأجزل مثوبته،- قائلون، ولما خالف قوله مخالفون[2].

من هنا يتبين أن الأشعري جاء لإحياء آراء الإمام أحمد بن حنبل إذ يعتبر منهاجه هو منهاجه وأنه يعتمد علي الكتاب والسنة الصحيحة سواء كانت متواترة أو آحاداً وأقوال الصحابة وإجماع السلف أصولا لبناء العقيدة. كما بين في

(١) الإبانة عن أصول الديانة للأشعري : نشر دار الكتابة العربية، طبعة ٢ ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠م ص:١٣

(٢) المرجع السابق : ص: ١٧

موضع آخر أنه تابع لأهل الحديث وأهل السنة حيث قال بعد ذكر مقالتهم: وبكل ما ذكرنا نقول وإليه نذهب ، وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل وبه نستعين[١]. فهل معنى هذا انه اقتصر علي تأييد عقيدة أهل السنة مجملة وترك النظر والكلام؟

لقد ظهرت أقوال أهل البدع وانتشرت في عصر الأشعري وجعل رسالته وهدفه الرد عليهم بحكم ما فرض الله ﷻعلينا من الرد علي مخالفي الحق[٢]، وهكذا تصدى الأشعري لرد المعتزلة، وكشف انحرافاتهم فكان عليه أنه يلحن بمثل حجتهم وان يتبع طريقتهم في الاستدلال ليقطع شبهاتهم، كما تصدى للرد علي الفلاسفة والقرامطة والباطنية وإضرابهم وكثيراً من هؤلاء لم يكن يفحمه إلا الأقيسة المنطقية والدليل العقلي.

كل هذا كان دافعا للأشعري أن يستخدم العقل في مجال المعرفة ويجعله خاضعا للنصوص الثابتة وبرع في ذلك بسبب تخرجه علي المعتزلة.

ورغم تأييده لعقيدة أهل السنة فإن هذا المنحى باستخدام العقل– الذي سار عليه كان من أهم الأسباب التي دفعت الحنابلة إلي معاداته ، وفي سبيل تبرير موقفه هذا، ألف رسالة. أستحسن فيها الخوض في علم الكلام وبين فيها أن الاقتصار علي النقل وإقصاء العقل في تأييد ما ورد به من حقائق خاطئ لا يقول به إلا مقلد جاهل يقول الأشعري: عن طائفة من الناس جعلوا الجهل رأسمالهم وثقل عليهم النظر والبحث عن الدين ومالوا إلي التخفيف والتقليد وطعنوا علي من فتش عن أصول الدين ونسبوه إلي الضلال وزعموا أن الكلام في الحركة والسكون وصفات الباري بدعة وضلاله[٣] .

(١)مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للأشعري تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد،مكتبة العصيرة، ١٩٩٠م ص:٣٥٠جـ١

(٢)تبيين كذب المفترى ص: ٩٦ .

(٣)اللمع وفيه رسالة استحسان الخوض في علم الكلام ٨٩ .

ثم تصدى لهم بعد ذلك بالأدلة النقلية الدالة علي صحة النظر والاستدلال فاستدل بقوله تعالى حكاية عن سيدنا إبراهيم ﴿ **فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لاَ أُحِبُّ الآفِلِينَ ، فَلَمَّا رَأَى القَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ القَوْمِ الضَّالِّينَ** ﴾(الأنعام ٧٧-٧٦).

كما أستدل علي صحة النظر ووجوبه من رده تعالى علي المشركين الذين أقروا بالحلق الأول فألزمهم أن يقروا بالخلق الثاني. قال تعالى: ﴿ **وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ** ﴾. قال من يحيي العظام وهي رميم، ﴿ **قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾(يس ٧٨-٧٩) . ويقول الأشعري : وهذا هو الدليل علي صحة الحجاج والنظر لن الله تعالى حكم في الشيء بحكم مثله وجعل سبيل النظر ومجراه مجرى نظيره" [١] .

وأستدل الأشعري من السنة بما روى من أن رجلا قال: يا نبي الله إن أمرتني ولدت غلاما أسود وعرض بنفيه فقال النبي I: هل لك من إبل؟ فقال: نعم، قال: فما ألوانها؟ قال: حمر، فقال رسول الله I: هل فيها من أورق. قال : نعم إن فيها أورق ، قال فاني ذلك؟ قال: لعل عرقا نزعه، فقال النبي I: ولعل ولدك نزعه عرق.

قال الأشعري : فهذا ما علم الله نبيه من رد الشيء إلي شكله ونظيره وهو أصل لنا في سائر ما نحكم به من الشبيه والنظير [٢] . من هذا يتبين لنا أن الأشعري يرى أن لا القرآن ولا السنة منعا من استخدام العقل في فهم أمور العقيدة وتأييدها بل يرى إن ذلك ضروري لتأييد العقيدة وليس بدعه كما الذين أخذوا بظواهر النصوص ، ويمضى الأشعري في تأييد رأيه هذا بقوله: حكم مسائل . وحكم مسائل العقليات والمحسوسات أن يرد كل شيء من ذلك إلي بابه ولا تخلط العقليات بالسمعيات ولا السمعيات بالعقليات[٣] .

---

(١)اللمع في الرد علي أهل الزيع والبدع : ص ٩ .
(٢)اللمع وفيه رسالة استحسان الخوض في علم الكلام : ص: ٩٢ .
(٣)المرجع السابق : ص:٩٥ .

إذن فلكل من السمع والعقل مجاله ولا يجب أن يختلطا ولكن ما المقدم عند الأشعري هل السمع أم العقل عند التعارض؟ لقد جعل الأشعري رسالته تأييد عقائد أهل السنة بالعقل ولذا كان الأصل عنده هو السمع وهو المقدم عنده علي العقل يتبين لنا هذا من خلال أرائه الكلامية التي سنعرضها فيما يلي:

المبحث الثاني : منهجه في إثبات وجود الله :

عن مفهوم الإيمان عند الأشعري هو التصديق القلبي، وهو اعتقاد المعتقد صدق من يؤمن به لذلك كان أول الواجبات عند الأشعري هو معرفة الله تعالى[١] من حيث وجوب وجوده ووحدانيته وسائر صفاته من نحو العلم والقدرة والإرادة وجميع الأحكام المتعلقة به ﷻ وكذلك صانعيته تعالى للعالم؟ [٢] .وإذا تتبعنا كتب الأشعري التي بين أيدينا نجد انه اتبع ثلاث طرق في إثبات الصانع.

١- طريق النظر في الأنفس امتثالا للآية الكريمة: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات الآية :١٢)

يشرح الشهر ستانى منهج الأشعري في إثبات وجود الله بقوله: " ربما سلك أبو الحسن رحمة الله طريقا في إثبات حدوث الإنسان وتكونه من نطفة أمشاج وتقلبه في أطوار الخلقة وأكوار الفطرة ولسنا نشك في أنه ما غير ذاته ولا بدل صفاته ولا الأبوان ولا الطبيعة فيتعين احتياجه إلي صانع قديم[٣] . إذ يقول الأشعري : " الدليل علي أن للخلق صانعا صنعه ومدبراه دبره أن الإنسان الذي هو في غاية الكمال والتمام كان نطفة ثم علقه ثم مضغه ثم لحما وعظما ودما وقد علمنا أنه لم ينقل نفسه من حال إلي حال"[٤] وقد استمد دليله هذا من قوله

(١) فلسفة علم الكلام مدخل ودراسة : ص: ١٨ .
(٢) كتاب علم التوحيد عند خلص المتكلمين : ص: ٩٥.
(٣) نهاية الأقدام في علم الكلام : ص:٢١ .
(٤) اللمع في الرد علي أهل الزيغ والبدلع : ص:٦ .

تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ** ﴾(المؤمنون ١٢-١٤).

٢- طريق الحدوث :

يرى ابن تيمية أن الأشعري استدل بالحوادث علي حدوث ما قامت به بناء علي امتناع حوادث لا أول لها ثم جعل حدوث تلك الجواهر التي ذكر انه دل علي حدوثها هو الدليل علي ثبوت الصانع [١] .

يقول الأشعري : .. وتبههم علي حدثهم بما فيهم من اختلاف الصور والهيئات وغير ذلك من اختلاف اللغات وكشف لهم عن طريقة معرفة الفاعل لهم بما فيهم وفي غيرهم بما يقتضى وجوده ويدل علي إرادته[٢] ، وسرد الآيات السالفة ثم قال : " وهذا من أوضح ما يقتضى الدلالة علي حدث الإنسان ووجود المحدث له من قبل أن العلم قد أحاط بان كل متغير لا يكون قديما . [٣]

٣- طريق المعجزة:

وقد سلك هذه الطريقة العلماء لإثبات وجود الله إذ الأنبياء والرسل قد أجرى الله علي أيديهم معجزات تثبت صدقهم فيما أخبروا به وأول شيء تثبته هو أن هناك مرسى لذلك الرسول ووجود خالق واحد . . خلقهم من قبل أن لم يكونوا شيئا، وقد استند الأشعري إلي هذا الدليل أيضا نجد ذلك في قوله ﷺ: أعملوا أرشدكم الله أن ما دل علي صدق النبي I من المعجزات بعد تنبيهه لسائر المكلفين علي حدثهم ووجود المحدث لهم قد أوجب صحة أخباره ودل علي أن ما أتى به من الكتاب والسنة من عند الله ﷻ. [٤]

(١) شعبة العقيدة بين أبى الحسن الأشعري والمنتسبين إليه : ص: ١٤٤ .
(٢) رسالة أهل الشعر ص: ٥٣ .
(٣) المرجع السابق : ٥٣ .
(٤) المرجع السابق : ٥٤

المبحث الثالث : في الأسماء والصفات

نتناول الطريق الذي سلكه في إثبات الأسماء والصفات وحقيقة الاسم عند الأشعري ثم العلاقة بين الاسم والصفة وتقسيمات علماء الكلام للصفات وبعد ذلك نفصل في الصفات التي أسبتها الأشعري لله ﷻ.

مقدمات :

١- **طريق إثبات الأسماء:** يتبين من خلال رد الأشعري علي أستاذه الجبائي في مناظرته معه أن الأسماء عند الأشعري توقيفية وانه لا يثبت لله إلا ما أتبته لنفسه من الأسماء ونرى الأشعري يكرر نفس الكلام في كتابه اللمع حيث قال: " الأسماء ليست ألينا ولا يجوز لنا أن نسمى الله تعالى باسم لم يسم به نفسه ولا سماه به رسوله ولا أجمع المسلمون عليه ولا علي معناه"[١]. وفي هذا البابا نجد الأشعري تابعا لمذهب أهل السنة إذ يثبتون لله ﷻ كل أسم سمي به نفسه.

٢- **حقيقة الاسم والمسمى:** أختلف الناس في مسألة هل الاسم هو أو غيره أو لا يقال هو ولا يقال هو غيره؟ أو هو له ؟ ويرى ابن تيمية أن هذا النزاع اشتهر بعد الأئمة بعد الإمام احمد وغيره، فذهب الجهمية إلي أن الاسم غير المسمى وأسماء الله غيره وما كان غيره فهو مخلوق وهؤلاء هم اللذين ذمهم السلف لأنهم كانوا يقولون أن أسماء الله مخلوقة وهناك قول ثان يفيد أن الاسم عين المسمى وهو قول كثير من المنتسبين إلي السنة كالالكائي وأبى محمد البغوى[٢]

أما الأشعري فنراه في كتاب الإبانة يقول : من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالا[٣] ونجد ابن فورك في كتابه المجرد يروي رأيا آخر للأشعري في هذا الباب حيث يقول : المعروف من مذهبه في معنى الاسم

(١) اللمع في الرد علي أهل الزيع والبدع : ص: ١٠ .
(٢) مستفاد من مجموع الفتاوى : لأبن تيمية ، جـ٦، ص١٨٦- ١٨٨ .
(٣) الإبانة عن أصول الديانة : ص: ١٨ .

والذي نص عليه في كثير من كتبه منها النقض علي الجبائي والبلخي أن الاسم ليس هو المسمى على خلاف ما ذهب إليه المتقدمون من أصحاب الصفات فمن ذلك ما قال في كتاب نقص أصول الجبائي عن أسماء الله هي صفاته ولا يقال لصفاته هي هو ولا غيره [١] .

وقد روى ابن تيمية عن الأشعري انه يفصل في أسماء الله وانه يقسمها ثلاثة أقسام : تارة يكون الاسم هو المسمى كاسم الموجود وتارة يكون غير المسمى الخالق وتارة لا يكون هو ولا غيره كاسم العليم والقدير [٢] . هذا كل ما وقفت عليه في الموضوع غير أني لم أجد في كتبه سوى مقالته في الإبانة.

٣- **صلة الأسماء بالصفات:** لقد نفت الجهمية أسماء الله تعالى وصفاته معا بينما ذهبت المعتزلة إلي إثبات الأسماء ونفى الصفات وذهب فريق ثالث إلي إثبات الأسماء والصفات لله ﷻ وبحثوا في علاقة الأسماء بالصفات. ولاشك أن الأشعري كان من مثبتي الصفات إذ الأسماء عنده هي الصفات كما جاء علي لسان ابن فورك فإثباته للأسماء هو إثبات للصفات في نفس الوقت.

٤- **طريق إثبات الصفات:** لما كانت أسماء الله هي صفاته كان إثباته رحمة الله تعالى للصفات توقيفيا ما ورد به القرآن والسنة وإجماع المسلمين ثابتا يثبته وما نفاه الشرع ينفيه.

٥- **تقسيم العلماء للصفات من حيث ثبوتها:** تنقسم الصفات من حيث ثبوتها إلي نوعين:

- **<u>الأول :</u>** الصفات الشرعية العقلية وهي التي يشترك في إثباتها الدليل الشرعي السمعي والدليل العقلي والفطرة السليمة وهي أكثر صفات الرب تعالى بل أغلب الصفات الثبوتية يشترك فيها الدليلان السمعي والعقلي.

---

(١) مجرد مقالات الإمام أبى الحسن الأشعري : يلاين فورك، ص: ٣٨ .

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية : جـ٦، ص: ١٨٨ .

- **الثـانـي:**الصـفات الخبريـة وتسـمى النقليـة والسـمعية وهـي التـي لا سـبيل فـي إثباتها إلا بطريق السمع والخبر عن الله ورسوله I أي لا سبيل للعقل علي انفراده إلـي إثباتها لـولا الأخبـار المنقولـة عن الله وعن رسـوله I وهـي خبريـة محضة بيد أن العقل السليم لا يعارض فيها الخبر الصحيح كما هو معروف.

وهذا التقسيم متعارف عليه بين علماء الأشعري ويبدو أن الأشعري يتفق وهذا التقسيم إذ كـان يـرى أن صـفات الله تعـالى علـي نـوعين منهـا مـا يعلـم مـن طريق الأفعال ودلائلها عليها وهي كالحياة والعلم والقدرة والإرادة ومنها ما يثبت له لانتفاء صفات النقص وذلك كالسمع والبصر والكلام كما كان يعتقد أن هناك صفات تعتقد خبرا كاليدين والوجه والاستواء والمجيء والنزول والإتيان . كذلك يتبين لنا تأييده لهذا التقسيم من خلال عرض لدلته في إثبات الصفات قبل : **(صفات ذاتية– صفات فعليه)**

أما الصفات الذاتية فهي التي لا تنفك عن ألذات بل هي ملازمة لها أزلا وأبدا ولا تتعلق بها مشيئته تعالى وقدرته وهي التي لم تزل ولا يزال الله متصفا بها كصفة الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة والوجه واليدين والعينين والعلو والعني الخ .

أما الصفات الفعلية فهي التي تتعلق بها مشيئة الله وقدرته كل وقت وإن وتحدث بمشيئته وقدرته آحاد تلك الصفات من الأفعال وإن كان هو لم يزل مصوفا بها بمعنى أن نوعها قديم وأفراده حادثة كالنزول إلي السماء الدنيا والمجيء والضحك والرضا والغضب وغيرها. إذن فليكن تناولنا لهذا الموضوع – منهجه في الأسماء والصفات – من محورين.

- **المحور الأول : الصفات الذاتية**
- **المحور الثاني : الصفات الفعلية** .. داخل كل محور جانبان .. الجانب الأول : ما يثبته من طريق العقل والنقل والجانب الثاني : ما يثبته من طريق النقل

الصفات الذاتية :

ثبت الأشعري لله تعالى الصفات الذاتية : التي ورد بها الشرع مجمله فالصفات عنده توقيفية ما ورد به الشرع يثبته وما نفاه عنه ينفيه والصفات التي يتوسع في إثباتها والتي ورثها عنه الأشاعرة من بعده هي: العلم والحياة والسمع والبصر والكلام والقدرة والإرادة ويستدل عليها بأدلة نقلية وعقلية.

ثم هناك صفات أخرى كاليدين والوجه والعينين والرضا والغضب هذه الصفات انقسم إتباعه من بعده إلي مؤولين ومفوضين بمعانيها إلي الله ﷻ.

١) **الصفات الذاتية العقلية** سنتناول هذا المبحث من طريقين

الأول : الأدلة النقلية التي يوردها، والثاني : الأدلة العقلية

١- **أدلته النقلية** **:صفة العلم :** وهي صفة أزلية قائمة بذات الله تعالى وقد أستدل الأشعري لهذه الصفة بقوله تعالى : ﴿ **أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ**﴾ (النساء ١٦٦) وقوله ﷻ: ﴿ **وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ**﴾(فاطر ١١) وقوله تعالى: ﴿ **فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ**﴾ (هود١٤) كذلك ما جاء في الآية الكريمة: ﴿ **وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ**﴾ (البقرة٢٥٥).

صفة الحياة : يرى الأشعري أن الله حي بحياة ولكنه لم يورد أي دليل من الكتاب والسنة ولعل السبب أن هذه الصفة لم يكن المعتزلة يختلفون معه فيها فتبقى أدلتهم هي أدلته ، كذلك كما قلنا أن كتبه كانت ترد على المعتزلة، والآيات الدالة علي أن الله حي كثيرة نذكر من بينها قوله تعالى:﴿**اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ** ﴾.

صفة القدرة : ينهج الأشعري منهج السلف الصالح ويثبت هذه الصفة للباري ﷻ ويستدل عليها بقوله تعالى: ﴿**أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً**﴾ (فصلت١٥)، وقوله ﷻ:﴿**ذُو القُوَّةِ المَتِينُ**﴾ (الذاريات٥٨) وقوله ﷻ:﴿ **وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ**﴾ (الذاريات٤٧). وهذه الصفات الثلاث يثبتها المعتزلة لله تعالى ولا يختلفون مع الأشعري في إثباتها.

صفة الإرادة : وهي صفة من الصفات الذاتية الأزمة لذاته تعالى ويثبتها الأشعري بالآيات: ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**﴾ (البقرة: ٢٥٣) ﴿ **إِنَّمَا قَوْلُنَا**

لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (النحل ٤٠) **﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾** (هـود : ١٠٧) (والبـروج: ١٦) **﴿ وَمَـا تَشَـاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَـاءَ اللَّـهُ﴾** (الإنسان: ٣٠) وهذه من الصفات التي توسع فيها الأشعري إذ أنها تعتبر أساساً وأصلاً في بنائه عدة قضايا مثل خلق الله أفعال العباد ووحدانية الله وتعذيب أطفال المشركين .. الخ.

صـفة السـمع : وهـي صـفة ذاتيـة لله تعـالى وتتعلـق بجميـع المسـموعات ويستدل عليها بقوله تعالى: **﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾** (الحج ٦١و٧٥) **﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾** (المجادلة:١)

صفة البصر : وهي صفة ذاتية لله تعالى ويستدل عليها بنفس الآيات التي أوردها في صفة السمع والإجماع.

صـفة الكـلام : كانـت هـذه الصـفة مـن أهـم القضـايا التـي شـغلت الفكـر الإسـلامي وعلـم الكـلام وهـي مـن المسـائل التـي حـاول الأشـعريان بينهمـا ويوضحها ويقدم لها حلا للفصل في النزاع فيها ونظراً لأهميتها أفردت لها فصلا خاصاً بها.

وقد أثبتها الأشعري بأدلة من الكتاب والسنة والإجماع. فمن الكتاب قوله تعالى : **﴿ وَمِنْ آيَاتِـهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾** (الروم: ٢٥) وأمر الله هو كلامـه: **﴿ إِنَّمَـا قَوْلُنَـا لِشَـيْءٍ إِذَا أَرَدْنَـاهُ أَن نَّقُـولَ لَـهُ كُن فَيَكُـونُ﴾** (البقرة: ٩٨) وقول الله كلامـه . ومن السنة قول I: " ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربـه ليس بينه وبينه ترجمان". كما أستدل علي الكلام بإجماع الصحابة والعلماء من بعدهم كما كانت هذه المسألة من المسائل التي أثبتها الإمام أحمد بن حنبل الذي يعده الأشعري إماما له كما جاء علي لسانه في الإبانة عن أصول الديانة.

ولقد أولى الأشعري هذه الصفات السبع أهمية قصوا فاستدل عليها بأدلة نقية وعقلية نجد ذلك في كتابيه اللمع والإبانة وفيما يلي نورد أدلة العقلية.

٢- **أدلته العقلية:** المتصفح لكتابي الأشعري اللمع والإبانة يرى أن أدلته العقلية في إثبات ما قدمناه من الصفات تتمثل في وضعه صفتين متقابلتين إذا لم يوصف الأشعري بهذه الصفة وصف بضدها فإذا لم يكن موصوفاً بالعلم

كان موصوفاً بضد العلم من الجهل أو الشك كذلك إذا لم يكن قادراً كان موصوفاً بضد القدرة من العجز وإذا لم يكن موصوفاً بالحياة كان موصوفاً بصد الحياة من الموت ويقول ابن تيمية أن هذه الطرق اتبعها الأئمة ومن أتبعه من نظار السنة ، فكان بذلك ظهور فعله سبحانه في خلقه دليلاً علي حياته وظهور ذلك الفعل بما يشتمل عليه من أحكام ونظام وإتقان دليلاً علي علمه وقدرته لأن ذلك يستحيل أن يصدر من يتصف بأضداد تلك الصفات من موت وعجز وجهل يقول الأشعري : فإن قال قائل : لم قلتم أن الله تعالى عالم: قيل له لن الأفعال المحكمة لا تتسق في الحكمة إلا من عالم .. ولو جاز أن تحدث الصنائع الحكمية إلا من عالم لم ندر هل جميع ما يحدث من حكم الحيوان وتدابيرهم يحدث منهم وهم غير عالمين فلما استحال ذلك دل علي أن الصنائع الحكمية لا تحدث إلا من عالم[1]. كذلك لا يجوز أن تحدث الصنائع إلا من قادر حي لأنه لو جاز حدوثها ممن ليس بقادر ولا حي لم ندر لعل سائر ما يظهر من الناس منهم وهم عجزة موتى فلما استحال ذلك دلت الصنائع علي أن الله تعالى حي قادر[2] . إذن أثبت الأشعري أن الله قادر حي عليم ردا علي الزنادقة والمعطلة ثم بدأ ينقض ويرد علي الجهمية الذين قالوا أن الله قادر وعالم وحي نفوا أن تكون لله قدرة وحياة وعلم .

وأستدل الأشعري لهذه الصفات بأنه لا يتصور عالم بغير علم وقادر بغير قدرة لأن نفي هذه الصفات يلزم منه نفي تلك الأسماء ذلك أن تلك الأسماء مشتقة من صفات وأنه لا تخلو أسماء الله ﷻمن أن تكون مشتقة أو لإفادة معنى أو على طريق التلقيب، فلا يجوز أن يسمى الله ﷻعلي طريق التقليب باسم ليس فيه .

(١) كتاب اللمع في الرد علي أهل الزيع والبدع : ص: ١٠ .
(٢) كتاب الإبانة عن أصول الديانة : ص: ٨٨ .

إفادة معناه وليس مشتقا من صفة فإذا قلنا الله ﷻعالم قادر فليس ذلك تلقيبا كقولنا زيد وعمر وعلى هذه إجماع المسلمين[١]. فعلى هذا يمكن أن نقول أن الأشعري يثبت لله سبحانه هذه الصفات من جهتين:

- **الأولى من جهة اشتقاق هذه الأسماء من الصفات.**
- **الثانية : من جهة إفادتها لمعنى هذه الصفات.**

ويكون بذلك الدليل علي أن الله عالم دليل علي العلم إذ لا يتصور وجود عالم بلا علم فمعنى العالم من أن له علماء كما جاء علي لسانه ويقول الدليل علي أن لله قدرة وحياة كالدليل علي أن لله تعالى علماً.ويمكن القول أن دليل الأشعري في هذا الباب يقوم علي قياس الغائب علي الشاهد، وهو من القياسات التي اعتمدها علماء الكلام في إثباتهم لعقائدهم ويثبت الشهر ستاني أن هناك جوامع أربعة لقياس الغائب علي الشاهد:العلة والشرط والدليل والحد.[٢]

فلما كان العالم منا عالما معللاً بالعلم فوجب في الغائب أن يكون العالم معللاً بالعلم أو بعبارة الأشعري: " معنى العالم عندي أن له علماً ومن لم يعلم لزيد علماً لم يعلمه عالماً " [٣] . كذلك لما كان العلم مشروطاً بالحياة شاهدا فكذلك غائباً فلما كان الله عالماً كان حياً.

ويستدل الأشعري علي أن لله قدرة وإرادة مستعملاًَ كذلك هذا النوع من القياس قياس الغائب علي الشاهد – ولعله يستعمله جمعاً بالدليل إذ كان الحدوث والأحكام والخلق يدل علي القدرة والإرادة في الشاهد فوجب طرد هذا الدليل غائباً. كما أستدل علي أن الله قدرة وإرادة وعلما بكون العالم منا هو ذو العلم والقادر ذو القدرة والحقيقة لا تختلف شاهداً وغائباً فأوجب بذلك طرد ذلك علي الغائب.

أما دليل اتصافه تعالى بالإرادة فيطلعنا عليه الأشعري بقوله : الحي إذا كان غير مريد لشيء أصلاً ، وجب أن يكون موصوفا بضد من أضداد الإرادات

(٣) المرجع السابق : ص: ٩٢ .
(١) الشهر ستاني في نهاية الأقدام : ص ١٨٢ .
(٢) اللمع في الرد علي أهل الزيغ والبدع ص : ١٢ .

من الآفات كالسهو والكراهة والإباء والآفات [١] . فجعل بذلك ثبوت صفة الحياة دليلاً علي ثبوت صفة الإرادة كما أستدل بثبوت صفة العلم والقدرة علي ثبوت هذه الصفة في قوله: " أيما أولى بصفة الاقتدار من إذا شاء أن يكون الشيء كان لا محالة وإذا لم يرده لم يكن أو من يريده أن يكون فلا يكون ويكون مالا يريد؟"[٢]." إذا كان في سلطان الله ما لا يريد ، وهو يعلمه ولا يلحقه الضعف عن بلوغ ما يريده ، فما أنكرتم أن يكون في سلطان مالا يعلمه ولا يلحقه النقصان فإن لم يجز هذا لم يجز ما قلتموه".

ولعل الأشعري استدل بثبوت هذه الصفات الثلاث : الحياة والقدرة والإرادة . في سبيل إثبات الإرادة لأن المعتزلة يثبتونها وينفون الإرادة فجعل ما اتفقوا معه في إثباته أساساً للاستدلال علي ما اختلفوا فيه.

أما دليل اتصافه بالسمع والبصر فثبوت الحياة له إذ يتعذر أو يستحيل وجود حي يتصف بآفة تمنعه من إدراك المسموع والمرئي وخال من الاتصاف بما يدرك المسموع والمرئي، يقول الأشعري ، الحي، إذا لم يكن موصوفاً بآفة تمنعه من إدراك المسموعات والمبصرات إذا وجد فهو سميع بصير. فلما كان الله تعالى حيا لا يجوز عليه الآفات من الصم والعمى وغير ذلك، إذا كانت الآفات تدل على حدوث من جازات عليه صح أنه سميع بصير. أما استدلاله علي الكلام فهو ثبوت الحياة له وأنه لا يجوز عليه الآفات.

والملاحظ علي الأدلة التي يسوقها الأشعري في هذا الباب كلها تتضمن قياس الأولى الذي يقوم على الأدلة التي يسوقها الأشعري في هذا الباب كلها تتضمن قياس الأولى الذي يقوم علي أن كل كمال وجودي غير مستلزم للعدم ولا للنقص بوجه من الوجوه اتصف المخلوق به فالخالق أولى بالاتصاف به لأنه هو الذي وهب المخلوق ذلك الكمال ولأنه لو لم يتصف بذلك الكمال مع أمكان أن

(٣) المرجع السابق : ص: ١٨ .
(٤) الإبانة عن أصول الديانة : ص: ٩٩ .

يتصف به لكان من الممكنات من هو أكمل منه وهو محال، وكل نقص ينزه عنه المخلوق فالخالق أولى بالتنزه عنه[١].

وابن تيمية يرى أن هذا النوع من القياس الموجود في القرآن الكريم والذي أخذ به الأنبياء في الاستدلال علي الله ﷻولم يستخدموا قياس التمثل فالله لا مثيل له ولا قياس الشمول الذي تستوي أفراده بل ما ثبت لغيره من كمال لا نقص فيه فثبوته له بطريق الأولى وما تنزه عنه غيره من النقائص فتنزهه عنه بطريق الأولى.

الصفات الذاتية الخبرية :

صفات الذاتية الخبرية يثبتها الأشعري وقد نقل عنه الحافظ ابن كثير أنه كان ينفيها ثم رجع عن القول بنفيها[٢] ..أما الأستاذ محمد أبو زهرة فيرى أنه قد أثبتها في كتابه الإبانة وأولها في كتاب اللمع وعلى هذا يكون الأشعري قد أثبتها في الأول ثم رجع عن القول بإثباتها إذ أنه يرى أن الإبانة أسبق في التأليف من اللمع يقول:.. فهو في الإبانة كان يمنع تأويل اليد بالقدرة والوجه بالذات ويلزم الأخذ بظواهر النصوص ولكن في اللمع يقرر ذلك التأويل وهو في الحقيقة ليس بتأويل ولكنه اخذ بمجاز مشهور والمجاز المشهور لا يبعد تأويلا [٣] .

أما الإمام ابن تيمية فيري أن الإمام الأشعري قد أثبتها ولا ينسب إليه أي قول ثان في شأنها يقول ﷺ : أما الأشعري نفسه وأئمة أصحابه فلم يختلف قولهم في إثبات الصفات الخبرية وفي الرد علي من يتأولها كمن يقول استوي بمعنى استولى وهذا مذكور في كتبه كلها كالموجز الكبير والمقالات الصغيرة والكبيرة والإبانة وغير ذلك وهكذا نقل سائر الناس عنه حتى المتأخرون كالرازي والأمدي ينقلون عنه إثبات الصفات الخبرية ولا يحكون عنه في ذلك قولين : فمن قال: إن الأشعري كان ينفيها وأن له في تأويلها قولين فقد افترى عليه، ولكن

(٥) مجموع الفتاوى لأبن تيمية : جـ١٢ ، ص: ٣٩ .

(٤) البداية والنهاية : جـ ١١، ص: .

(٥) مجلة العربي العدد ٦٦ ص: ٢٩ ، عنوان المقال : أبو الحسن الأشعري بقلم الشيخ محمد أبو زهرة . ذلك قولين .

هذا فعل طائفة من متأخري أصحابه كابي المعالي ونحوه فإن هؤلاء أدخلوا في مذهبه أشياء من أصول المعتزلة [١] .

هذا ما وقفت عليه آراء العلماء في موقف الأشعري من الصفات الخبرية عامة. وفي الحقيقة لا نجد في كتابه اللمع أي إشارة إلي أنه أول هذه الصفات كما قال الأستاذ محمد أبو زهرة ولا في الإبانة أو رسالة أو رسالة أهل الثغر وهذه الكتب هي الموجودة وهي التي أمكنني الإطلاع عليها.

ويمكنني القول أن موقف الأشعري بصدد هذه الصفات أو الآيات الدالة عليها قد حسمه بقوله: حكم كلام الله ﷻ أن يكون علي ظاهرة وحقيقته ولا يخرج الشيء عن ظاهرة إلي المجاز إلا الحجة.. وليس يجوز أن يعدل بما ظاهرة العموم عن العموم بغير حجة[٢] . هكذا يحدد الأشعري موقفه مما أخبر الله به ﷻعن نفسه وبما أخبر عنه رسولهI وما أجمع عليه صحابته.

صفة الوجه :

لقد اثبت علماء أهل السنة والحديث هذه الصفة لله تعالى تصديقاً لما جاء في كتابه من الآي الدالة عليها مثل قوله تعالى: ﴿ **وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ وَالإِكْرَامِ**﴾ " فنفوا عن وجهة تعالى الهلاك كما جاء في الآية: ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ**﴾، كما نفوا عنه تشبيه وجهة تعالى وتمثيله يقول ابن خزيمة: (إن وجه ربنا القديم لم يزل بالباقي الذي لا يزال فُنى عنه الهلاك والفناء) [٣].

وافق الأشعري السلف الصالح في إثبات هذه الصفة كصفة ذاتية لله تعالى علي ما يليق بجلالة وعظمته فقد بين أن من جملة ما يعتقده هو أن الله وجها كما قال ﷻ : ﴿ **وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ وَالإِكْرَامِ**﴾(الرحمن ٢٧) . كما أستدل الأشعري في إثباته لهذه الصفة بقوله تعالى : ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ**﴾

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية : جـ١، ص: ٢٠٣ .
(٢) الإبانة عن أصول الديانة : ص ٨٥ .
(٣) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻلابن خزيمة : طبع بإدارة الطباعة المزية ١٣٥٤ .

(القصص٨٨١). ولا يتوسع في الكلام في هذه المسألة إذا اعتبرها محسوبة والآية صريحة الدلالة علي إثبات الوجه لله تعالى.

صفة العينين :

يثبت الأشعري هذه الصفة لله تعالى مصدقاً بذلك بما جاء في الكتاب الكريم إذ يقول تعالى: ﴿ **تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا**﴾ (القمر ١٤)، وبقوله ﷻ:﴿ **وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا**﴾ (هود ٣٧) كما قال تعالى: ﴿ **وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**﴾ (الطور٤٨)]، وقال: ﴿ **وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي** ﴾ (طه٣٩). كما أستدل علي العينين بالبصر في قوله تعالى: ﴿ **وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً**﴾ (النساء١٣٤) وقوله تعالى لموسى وهارون: ﴿ **إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى** ﴾ (طه٤٦). وهذه الآيات هي نفسها التي يستدل بها أهل السنة علي إثبات العين لله نجد ذلك في كتبهم.

أما الآيات الأربع الأولى فصريحة الدلالة علي الوجه أما الآيات الأخرى فقد أوردها أهل السنة في إثبات العين لأن الرسول I روى عنه ابن خزيمة عن محمد بن عبد الله بن يزيد المقري بسنده إلي أبى يونس أنه قال: سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الآية ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**﴾ قرأ إلي قوله: ﴿ **سَمِيعاً بَصِيراً**﴾ فيضع أبهامه علي أذنه والتي تليها علي عينه ويقول هكذا سمعت رسول الله I يقرأها ويضع إصبعيه.

صفة اليدين:

لم يختلف منهج الأشعري في هذه الصفة عن منهج السلف فهو يثبتها لله تعالى علي ما يليق به ﷻ ويستدل الأشعري علي هذه الصفة من عدة أوجه: **(من القرآن – السنة – الإجماع – اللغة)** أما القرآن فيستدل عليها بعدة آيات نوردها كالتالي: يقول الله تعالى: ﴿ **يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾ (الفتح١٠)، ﴿**مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ (ص٧٥)﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾ (المائدة٦٤)، ﴿

لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ (الحاقة ٤٥). أما من السنة فقوله I: " إن الله مسح ظهر آدم بيده فاستخدم منه ذريته ". وقوله I: " إن الله خلق آدم بيده ، وخلق جنة عدن بيده وكتب التوراة بيده، وغرس شجرة طوبي بيده ". وجاء عن النبيI انه قال: " كلتا يديه يمين ". أما الإجماع فقد بين أن أهل السنة أجمعوا علي أن لله يدين كما الله ﷻ نجد ذلك في كتابيه الإبانة ومقالات الإسلاميين. أما من طريق اللغة فسنبينه إن شاء الله عندما نتكلم عن رده علي منكري هذه الصفة الذين أولوا الآيات الدالة عليها.

بعد أن أثبت الأشعري صفة اليدين لله تعالى بدأ يرد علي المبتدعة الذين أولوا هذه الصفة وقالوا يديه في قوله تعالى: ﴿ **خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾** المراد بها النعمة فبين لهم رحمة الله أن اللغة لا تسعفهم هذا التأويل إلا يجوز في لسان العرب أن يقول القائل : عملت كذا بيدي ويعنى به النعمة فأبطل بذلك أن يكون معنى قوله ﷻ (بيدي) النعمة.

فالتأويل كما هو معروف هو صرف اللفظ عن المعنى الظاهر إلي معنى محتمل فالشرط في التأويل أن يكون المعنى محتملاً للفظ في اللغة واليد لا تحتمل النعمة. وبعد هذا بدأ يناقشهم ويطالبهم بالدليل علي تأويلهم ذلك أهو الإجماع أو اللغة؟ هذا قد دحضه من قبل هل هو القياس؟

فبين لهم أنه حتى هذا الأصل – القياس العقلي – الذي يعتمدون في تأويلهم الصفات لا يسعف هذا التأويل ولا يمكنه ذلك نجد في سؤاله الاستنكاري ، ومن أين وجدتم في القياس أن قول الله "بيدي" لا يكون معناه إلا نعمتي؟ ومن أين يمكن أن يعلم بالعقل أن يفسر كذا وكذا مع أنا رأينا الله ﷻ وقد قال في كتابه الناطق علي لسان نبيه الصادق: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾** (إبراهيم٤)[1]، فلا يمكن أن تفسر القرآن إلا بالرجوع إلي اللسان العربي واللغة العربية وهي مخالفة لما ذهب إليه أهل البدع بصدد هذه الصفة ثم تصدى بعد ذلك لتأويل بعضهم للأيدي بالقوة والقدرة معتمدين في ذلك علي الآية الكريمة

(١) الإبانة عن أصول الديانة: ص: ٨٠

﴿ **وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ**﴾ (الذاريات ٤٧). فبين لهم أن هذا التأويل فاسد من أوجه لا يذكرها الأشعري ويقول : أخرها أن " الأيدي" ليس جمع لليد. كما ورد عليهم بنفيهم للقدرة فإذا كانوا لا يثبتون لله قدرة فلا يجوز لهم أن يؤولوا " بيدي" بقدرتي. كما استدل علي فساد تأويلهم بأنه لو كان الله ﷻ عنى بقوله تعالى: ﴿**خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ القدرة لم يكن لآدم عليه السلام علي إبليس في ذلك مزية.

والأشعري حين أثبت لله اليدين أثبتهما علي وجه يليق به تعالى في عبارة أحب أن أنقلها: وليس يخلو قوله ﷻ" لما خلقت بيدي" أن يكون معنى ذلك إثبات يدين قدرتين أو يكون معناه إثبات يدين جارحتين أو يكون معناه إثبات يدين نعمتين أو يكون معناه إثبات يدين ليستا نعمتين ولاجارحتين ولا قدرتين لا يوصفان إلا كما وصف الله ﷻ...وإذا فسدت الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع وهو أن معنى قوله" بيدي" إثبات يدين ليستا جارحتين ولا قدرتين ولا نعمتين ولا يوصفان إلا بأنهما يدان لبستا كاليدين خارجتان عن سائر الوجوه الثلاثة التي سلفت(١) .

الصفات الفعلية :

أ- **الصفات الفعلية الخبرية:** من الصفات التي فصل الأشعري القول فيها داخل هذا الباب نذكر صفة العلو والاستواء والفوقية وصفة الآتيان والمجيء والنزول ثم صفتي الرضا والغضب ..

١- صفة الاستواء والعلو والفوقية صفة الاستواء من الصفات الفعلية الخبرية الثابتة لله تعالى، وهي من أعظم الصفات التي تبين وتثبت علو الله تعالى على خلقه، واستوائه علي عرشه.

أما صفة العلو والفوقية فهي صفة ذاتية لله تعالى ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع الأنبياء والمرسلين، وإتباعهم بإحسان من أهل السنة والجماعة، فالله

(١) المرجع السابق : ص: ٨٢ .

مستو علي عرشه فوق سبع سماوات، يعلم ما يبدون وما يخفون، وقد اجمع الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان، علي إثبات صفة العلو ولم ينقل عنهم اختلاف في هذا الباب حتى أوائل القرن الثاني إذ ظهر الجعد بن درهم، وهو شيخ الجهم بن صفوان بقوله أن الله في كل مكان بذاته ونفى أن يكون الله تعالى عاليا علي خلقه مستوياً علي عرشه. وقد تصدى السلف ﷺ للرد علي هذه البدعة، وشنعوا بقائلها حتى انتشرت أقوالهم التي جمعها العلامة ابن القيم الجوزية في كتابه " **اجتماع الجيوش الإسلامية علي غزو المعطلة والجهمية**". في هذا الكتاب بين ابن القيم أن أهل السنة أجمعوا علي أن الله مستو علي عرشه فوق السماوات، استواء يليق بجلالة وعظمته، وأنه بائن من خلقه. ومن جملة علماء أهل السنة الذين ذكرهم الإمام أبى الحسن الأشعري.

وهذه الصفة من الصفات التي أولها الأشعري عناية بالغة حيث خصص لها كتباً انفردت في بيانها، كما خصص لها بابا في الإبانة . كما نكلم عنها في كتابه رسالة إلي أهل الثغر أما اللمع فلم نجد له قولا فيها.

وفيما يلى نورد معتقد الأشعري : يقول رحمه الله- في معرض ذكره إجماعات السلف: وانه تعالى فوق سماواته دون أرضه، وقد دل علي ذلك قوله تعالى: ﴿**أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ**﴾(الملك١٦). وقال: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ**﴾ (فاطر ١٠) وقال:﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى**﴾ (طه٥) وليس استواءه علي العرش استيلاء كما قال أهل القدر لأن الله ﷻ لم يزل مستوياً.

وقد استدل الأشعري في الإبانة بآيات أخرى نذكرها فيما يلي: قوله تعالى ﴿ **بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْه**﴾ (النساء ١٥٨) قوله تعالى ﴿ **يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ**﴾ (السجدة ٥). وقال حكاية عن فرعون: ﴿ **يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِباً**﴾ (غافر ٣٦-٣٧) فكذب فرعون نبي الله موسى ﷺ في قوله : إن الله فوق السماوات وقال ﷻ: ﴿ **أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ**﴾

(الملك ١٦). فالسماوات فوقها العرش، فلما كان العرش فوق السماوات قال: أأنتم من في السماء لأنه مستو علي العرش الذي فوق السماوات وكل ما علا فهو سماء فالعرش أعلى السماوات . كما نجد الأشعر يستدل بدليل فطري إذ المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماوات، فلولا أن الله ﷻ علي العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش كما لا يحطونها إذا دعوا إلي الأرض . وبعد أن أثبت الأشعري لله صفة الاستواء من غير تكييف بدأ يلاحظ أقوال المبتدعة الذين قالوا إن الله بكل مكان أو أن الاستواء معناه الاستيلاء والملك والقهر. فنفى أن يكون بكل مكان لأن هذا يلزم منه أنه تعالى في بطن مريم وفي الحشوش والأخلية وذلك: باطل مخالف للدين كما أن تأويل استوى بإستولى وملك وقهر باطل إذ لو كان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض فالله مستول على كل شيء. وبعد هذا بدأ يستعرض الأدلة النقلية من القرآن الكريم، وسنة نبينا I ، على إثبات علو الله واستواؤه علي عرشه، وختم هذا المبحث بخبر عن رسول الله I: أن رجلاً أتى النبي I بأمه سوداء فقال: يا رسول الله I إني أريد أن أعتقها في كفارة فهل يجوز عتقها ؟ فقال لها النبي I ، أين الله ؟ قالت : في السماء. قال: فمن أنا؟ قالت : أنت رسول الله I . فقال النبي I: أعتقها فإنها مؤمنة[1]، وهذا يدل علي أن الله ﷻعلي عرشه فوق السماء.

النزول والمجيء والإتيان :

وهي من الصفات التي أجمع السلف علي إثباتها لله تعالى، وقد نقل الأشعري عنهم ذلك: والأشعري كما بين في الإبانة أنه تابع لأهل السنة، قد أثبت لله تعالى هذه الصفة، ومعتمد الأساسي في هذا الباب هو الحديث الذي روى

(١) أخرجه : مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب تحريم الكلام في الصلاة ج١ص:٣٨٣. رقم ٥٣٧ – أبو داود في كتاب الصلاة، باب تشميت العاطس في الصلاة جـ١ ص :٥٧٠ رقم ٩٣٠ ، وفي كتاب الإيمان باب في الرقبة المؤمنة جـ٣، ص ٥٨٧ رقم ٣٢٨٢.

عفان عن حماد بن سلمه، ثنا عمرو بن دينار عن نافع بن جبير عن أبيه أن النبي I قال: ينزل الله ﷻ كل ليلة إلي السماء الدنيا فيقول: هل من مسائل فأعطية، هل من مستغفر فأغفر له؟ حتى يطلع الفجر. وقوله I إذا بقى ثلث الليل ينزل الله تبارك وتعالى فيقول: من ذا الذي يدعوني فاستجيب له من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فاغفر له"[1].

استدل الأشعري بآيات بينات من القرآن نوردها: ﴿**وَجَاءَ رَبُّك وَالْمَلَكُ صَفاً صَفاً**﴾ (الفجر ٢٢) ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ**﴾(البقرة٢١٠)﴿**ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى**﴾(النجم ٨-٩).

ويرى أبن تيمية أن الأشعري جعل النزول والإتيان والمجيء حدثاً يحدث منفصلاً عنه فذاك هو إتيانه واستواؤه علي العرش فقال: استواءه فعل يفعله في العرش يصير به مستوياً عليه من غير فعل يقوم بالرب[2]، قريب من هذا الكلام ما نجده عند الأشعري في رسالة أهل الثغر حيث يقول: وأجمعوا علي أنه يجيء يوم القيامة والملك صفاً صفا لعرض الأمم وحسابها . وليس مجيئه حركة ولا زوالا وغنما يكون المجيء حركة وزوالا إذا كان إلجائي جسما أو جوهرا فإذا ثبت أنه تعالى ليس بجسم ولا جوهر لم يجب أن يكون مجيئه نقلة أو حركة ألا ترى أنهم لا يريدون بقولهم جاءت زيد الحمى أنها انتقلت إليه وحركت من مكان كانت فيه إذ لم تكن جسماً ولا جوهر وإنما مجيئها إليه وجودها به وانه ﷻ ينزل

(٢) أخرجه : البخاري: في كتاب التهجد باب الصلاة والدعاء من آخر الليل جـ٣، ص: ٢٩رقم ١١٤٥ من فتح الباري .- وفي كتاب الدعوات باب دعاء نصف الليل جـ١١ص١٢٨رقم ٢٣٢١. في كتاب التوحيد باب قوله الله تعالى : يريدون أن يبدلوا كلام الله جـ١٣، ص:٤٦٤ رقم: ٤٧٩٤ . مسلم في كتاب صلاة المسافرين باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل := = جـ١، ص:٢٢١ رقم :٧٥٨. أبو داود. في كتاب الصلاة باب أي الليل أفضل جـ٢، ص:رقم ١٣١٥. في كتاب السنة باب في الرد علي الجهمية جـ٥، ص:١٠١ رقم : ٤٧٣٣. أحمد .في المسند جـ٢، ص: ٢٦٤. ابن خزيمة في كتاب التوحيد ص: ١٢٧ .

(٢) مجموع الفتاوى لأبن تيمية: جـ ١٢ص:٢٥٠ .

إلي السماء الدنيا كما روى عن النبي I وليس نزوله تعالى نقلة لأنه ليس بجسم ولا جوه[١].

٣- صفة الرضا والغضب : لقد اثبت الأشعري هذه الصفة لله تعالى في كتبه الثلاثة (اللمع والإبانة ورسالة أهل الثغر) إذ يقول في الإبانة: إذا كان غضب الله غير مخلوق وكذلك رضاه وسخطه، فلم لا قلتم إن كلامه غير مخلوق ، ومن زعم أن غضب الله مخلوق لزمه أن غضب الله وسخطه علي الكافرين يفنى، وأن رضاه عن الملائكة والنبيين يفنى ، حتى لا يكون راضياً عن أوليائه ولا ساخطاً علي أعدائه وهذا الخروج عن السلام[٢] .

كما نقل عن السلف أنهم أجمعوا علي أن الله ﷻ يرضى عن الطائفين ويسخط علي الكافرين[٣]، إلا أننا إذا نظرنا في كلامه عن رضاه تعالى وسخطه نجد يخالف ما أجمع عليه السلف، إذ أولها فقال: " رضاه عنهم إرادته لنعيمهم وأنه يحب التوابين ويسخط علي الكافرين ويغضب عليهم وأن غضبه إرادته لعذابهم وانه لا يقوم لغضبه شيء" [٤].

الصفات الفعلية العقلية:

وهي كالخلق والرزق والتفصيل بالنعم، وقد أثبتها الأشعري جملة فالله هو الخالق وقد مر معنا هذا في باب إثبات وجود الصانع ورأينا أدلته العقلية والنقلية كما سنرى في فصل لاحق أدلته النقلية علي ذلك فلا مجال لذكرها هنا. أما الرزق فقد ذكره في معرض كلامه عن تقدير أعمال العباد والاستطاعة وقال إن الله قادر أن يفعل بخلقه من بسط الرزاق ما لو فعله به لبغوا، وأن يفعل بهم ما لو فعله بالكفار لكفروا: كما قال : **﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ﴾** أما التفضل بالنعم فالأشعري لا يفصل القول فيها وهو حين يعرض

(١) رسالة أهل الثغر : ص: ٥٢ .
(٢)الإبانة : ص: ٥١ – ٥٢ .
(٣) رسالة أهل الثغر : ص ٤٣ .
(٤) المرجع السابق : ص ٧٤-٧٥ .

لها يذكرها مرتبطة بمسائل تقدير أفعال العباد .. كسابقتها فالله هو المتفضل علينا بالنعم.

منهج الأشاعرة في الصفات :

الأشاعرة فرقة من الفرق الكلامية انتسبت إلي الإمام الأشعري ويسمون كذلك الصفاتية لإثباتها الله ﷻ. والمذهب الأشعري كان محاولة للتوسط بين العقل والنقل الشيء الذي آثار نقمة الفريقين، العقلي الذي يمثله المعتزلة والنقلي الذي يمثله الحنابلة . وباختفاء المعتزلة من الساحة الفكرية بعد ظهور الأشعري وفضح إياهم فأصبح النزاع بين الأشاعره الذين تزعموا التوسط بين العقل والنقل والحنابلة الذين أخذوا بالنقل وكان نتيجة طبيعته لهذا الصراع أن توسع الأشاعرة في أخذهم بالعقل كرد فعل للحملات التي شنها عليهم الحنابلة.

وبهذا قسموا الصفات إلي أربعة أقسام : من وجوه كثيرة وروى عن أصحابه بلا خوف . ويروى في هذا الباب حديثين يسندهما عن النبي I يثبتان الحوض .

عذاب القبر:

لقد أنكري المعتزلة عذاب القبر بينما أثبته أهل السنة إذ وردت به الأخبار عن رسول رب العالمين I والأشعري قد أثبته من ثلاثة أوجه:

- الأول : من الكتاب واستدل بثلاث آيات نوردها كالتالي: يقول تعالى: ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُواً وَعَشِياً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ** ﴾ (غافر٤٦). وقوله ﷻ: ﴿ **وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّـهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّـهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ (آل عمران ١٦٩: ١٧٠) ﴿ **سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ**﴾ (التوبة ١٠١).

أما من السنة فما روى عن الرسول I أنه كان يحثنا علي أن نتعوذ بالله من عذاب القبر وأنه كان يتعوذ من عذاب القبر. أما من الإجماع فلم ينقل إلينا اختلاف أصحابه I ورضي الله عنهم في ذلك [1] .

رؤية الله يوم القيامة :

من بين الإشكالات التي اهتم بها الأشعري وأولاها اهتماماً بالغاً جعله يخصص لها بابين في الإبانة مسألة رؤية الله القيامة، وهي من بين أول المسائل التي خرج علي معتقدة فيها إثر خروجه علي الاعتزال مما ينبئ أنها كان من الإشكالات المتنازع حولها في عصره. وقد أنكر المعتزلة رؤية الله يوم القيامة وأولوا الآيات التي يفيد ذلك إذ أنها مناقضة للأصل الأول لديهم ، إلا وهو التوحيد فقد كانوا يقولون : إن الله لا يحيط به مكان ، ولا تجوز عليه المماسة ولا العزلة ولا الحلول في ألماكن .. ولا تدركه الحواس .. ولا تراه العيون ولا تدركه الأبصار[2] . بينما ذهب أهل التشبيه والحشوية إلي أن الله يرى مكيفاً محدوداً كسائر المرئيات[3] .

لقد قدم الأشعري لجواز رؤية الله بالأبصار أدلة سمعية وعقلية.. أما الأدلة السمعية فقد احتج بجملة من الأحاديث والآيات التي تثبتها وكان معتمدة الأساسي قوله تعالى: ﴿ **وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ (القيامة ٢٢ :٢٣)، ثم حصر المعاني المحتملة للنظر فقال: فقال: قد يحتمل أن يكون معنى النظر: نظر الاعتبار أو نظر الانتظار أو نظر القلب أو نظر التعطف أو بمعنى الرؤية، ونفى الأقسام الأربعة الأولى من اللغة والمعقول ورجح أن معنى النظر في الآية لا يمكن أن يكون إلا الرؤية. وقد نفى عن الخصوص أن يكون عنى به نظر الانتظار لأنه من قول المعتزلة وكذلك نفى أن يكون مراد الآية نعم ربها ثوابه منتظرة . وقد كان المعتزلة ينفون الرؤية معتمدين علي الآية : " **لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ** " فاضطر الأشعري حيال هذه الآية أن يخصص فيقول بعدم

(١) الإبانة عن أصول الديانة: ١٤٣– ١٤٤ .
(٢) مقالات الإسلاميين : جـ١، ص:٢٣٥ .
(٣) تبيين كذب المفترى: ص: ١٤٩ .

جواز الرؤية في الدنيا" في الآخرة كذلك اضطر إلي تأويل قوله تعالى ردا علي موسى : لن تراني ، أن العجز من الرائي وليست الاستحالة من قبل المرئي وإلا لقال سبحانه : ليست مرئياً وأن ورود النفي بصيغة " لن" يفيد مجرد النفي دون الاستحالة ولو كانت الرؤية مستحيلة لما سألها نبي. كما استند الأشعري إلي آيات أخرى لتأكيد رأيه– أن الرؤية للمؤمنين في الآخرة– بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**﴾(المطففين ١٥)، فإذا كان الكفار محجوبين فلا بد أن المؤمنين مبصرون. كما أستدل بما ذهب إليه أصحاب التفسير أمثال ابن كثير وابن حزيمة إلي أن معنى قوله تعالى: ﴿ **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾(يونس ٢٦)، أن الزيادة هي النظر إلي الله تعالى. كما استدل من السنة بقولهI: ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضارون في رأيه، إذ يقول في رسالة أهل الثغر، وأجمعوا علي أن المؤمنين يرون الله ﷻيوم القيامة بأعين وجوههم علي ما أخبر به تعالى في قوله : ﴿ **وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ ، وقد بين معنى ذلك النبي I ورفع كل أشكال فيه بقوله للمؤمنين : ترون ربكم عيانا وقوله: ترون ربكم يوم القيامة. الحديث أما أدلته العقلية فأغلبها تثبت جواز الرؤية وعدم استحالتها لأن ذلك لا يفيد حدوثه أو تغيير حقيقته أو تشبيهه أو أن تقتضى الرؤية الجسمية ولا مقابلة للمرئي للرائي ولا اتصال الشعاع منه إليه إنها جائزة دون دلالة علي الجسمية أو التشبيه إذ أنها رؤية بلا كيف.

المبحث الرابع : منهجه فيما يتعلق بالقضاء والقدر :

من أهم القضايا التي طالما شغلت الفكر الإسلامي والعلماء، والتي ما زالت محل بحث يتناولها الناس. العامة منهم والعلماء– بالحديث قضية خلق أفعال العباد.

وقد اهتم بها الأشعري اهتماما بإلغاء وأدلي بدلوه في بحثها ، حيث ألف فيها الكتب – مع الأسف لم تصل إلينا – وهذه المسألة ذات صلة وثيقة بمسألة القضاء والقدر التي أفردها لها الأشعري بابا في كتابيه اللمع والإبانة . وقبل الشروع في الحديث عنها، وعن موقف الأشعري منها، أحب أن أقول أن بدعة القدر، وجدت في عصر مبكر، منذ أيام الصحابة رضوان الله عليهم الذين شددوا

النكير علي أصحابها حين بلغتهم مقالتهم وتبرأوا منهم. وقد اشتهرت هذه المسألة عن معبد الجهني ، الذي يعد أول مبتدع لها وتابعة عليها غيلان الدمشقى الذي توسع في الحديث عنها، وبدأ ينشرها حتى أمر الخليفة هشام بن عبد الملك بسجنه وتعذيبه إلي أن مات سنة ١٠٦هـ حين أستفحل أمره بالدعوة جهاراً إلي بدعته. إلا أن تلك البدعة لم تمت بموت صاحبها ، شأنها شأن كل البدع ومن هنا تكمن خطورة البدع وتشديد النبيI في تحريمها. لم تمت بدعة القول بالقدر، فقد احتضنها المعتزلة الذين ينكرون القدر، وأسندوا أفعال العباد إلي قدرهم ، موافقة الرأي معبد وغيلان حتى أشتهر تلقيبهم بالقدرية. يقول زهدي جار الله في كتابه المعتزلة : إن القدرية فرقة سبقت المعتزلة وكان من رؤسائهم الأوائل معبد الجني وغيلان الدمشقي ولما ظهر المعتزلة أخذوا عن القدرية قولها في نفي القدر فعلق بهم لذلك اسمها. وقد عرف العلماء القدر بالإيمان بعلم الله القديم والإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة.

يقول الدكتور محمد نعيم ياسين في " **الإيمان**" وعقيدة القدر مبينة في حقيقتها علي الإيمان بصفات الله العلى، وأسمائه الحسنى ومنها العلم والقدرة والإرادة : قال تعالى ﴿ **وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ (الحديد٣) وقال: ﴿**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ (الحديد٢) وقال: ﴿ **فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ**﴾ (البروج١٦) [١] يقول ابن القيم الجوزية: [٢] .. ولما كان الكلام في هذا الباب نفيا وإثباتا موقافاً علي الخبر عن أسماء الله وصفاته وأفعاله وخلقه وأمره . ثم ذكر مراتب القضاء والقدر التي من استكمل معرفتها والإيمان بها فقد آمن بالقدر وقال إنها أربع مراتب:

المرتبة الأولى: علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها المرتبة الثانية : كتابته لها قبل كونها المرتبة الثالثة: مشيئته لها المرتبة الرابعة : خلق لها .

ولا شك أن ابن القيم الجوزية تابع لشخصية ابن تيمية في هذا الباب إذ يقول ﷺ: الإيمان بالقدر علي درجتين، كل درجة تتضمن شيئين : الدرجة

(١) كتاب الإيمان : أركانه – حقيقته – نواقصه : للدكتور محمد نعيم ياسين، نشر مكتبة التراث الإسلامي (١٩٨٧).

(٢) من كتابه شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والتعليل: المقدمة٩ ، ص: ٥٥ .

الأولى: الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلا، وعلى جميع أحوالهم في الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق.. وأما الدرجة الثانية. فهي الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان ولم لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السماوات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه ما لا يريد، وأنه سبحانه علي كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه[1] . فالإيمان بالقدر يشتمل علي أربع مراتب: **الأول:** الإيمان بعلم الله القديم وأنه علم أعمال العباد قبل أن يعلموها ، الثانية : كتابة ذلك في اللوح المحفوظ، الثالثة: مشيئته الله النافذة وقدرته الشاملة ، الرابعة : إيجاد الله لكل المخلوقات ، وأنه الخالق وكل ما سواه مخلوق .

ما هو تعريف الأشعري للقدر؟

في الحقيقة مما تبقى من أقواله في القدر لا يصرح الأشعري بأي شيء في هذا الباب إلا أننا يمكن أن نستشف من أقواله – التي سأوردها فيما يلي– تعريفاً له : يقول الأشعري : وهذا يدل علي بطلان قول القدرية الذين يقولون إن الله ﷻ لا يعلم الشيء حتى يكون، لأن الله ﷻإذا كتب ذلك وأمر بأن يكتب فلا يكتب شيئا لا يعلم جل عن ذلك وتقدس[2] . ويقول في موضع آخر بعد أن سرد قول الله ﷻ مخبراً عن أهل النار وأنهم ﴿ **قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ** ﴾ (المؤمنون : ١٠٦) وكل ذلك بأمر قد سبق في علم الله ﷻ ونفدت فيه إرادته وتقدمت فيه مشيئته . فمما سبق يمكن أن نستشف تعريفاً للقدر عند الأشعري أنه هو الإيمان بتقديم علم الله سبحانه بما يكون في إكساب الخلق

(١) الروضة الندية : شرح العقيدة الواسطية ، ص: ٣٥٢-٣٥٣
(٢) الإبانة : ص: ١٣٢ .

وغيرها من المخلوقات وكتابته لها ومشيئته لها. وبهذا التعريف تتبين لنا العلاقة بين القدر ومسألة أفعال العباد فهذه الأخيرة جزء من تلك المسألة الشائكة ، والأشعري من مثبتي القدر إلا أنني هنا سأفصل الحديث عن خلق الله أفعال العباد وإكسابهم أما الجوانب الأخرى من المسألة كالهدى والضلال وجواز تكليف ما لا يطاق فسأذكرها موجزة من خلال عرض للمسألة – خلق أعمال العباد– وقبل هذا أحب أن أقص الآراء التي اشتهرت حول المسألة وهي عبارة عن رأيين متناقضين: – الجهمية الجبرية [1] : زعمت أن التدبير في أفعال الخلق كلها لله تعالى وهي كلها اضطرارية وإضافتها للخلق مجاز، يقول ابن القيم الجوزية: مبالغات طائفة أخرى فنفت فعل العبد وقدرته واختياره وزعمت أن حركته الاختيارية – ولا اختيار– كحركة الأشجار عند هبوب الرياح وكحركات الأمواج، وأنه علي الطاعة والمعصية مجبور، وأنه غير ميسر لما خلق له، بل هو عليه مقهور ومجبور.

المعتزلة التي قابلت هؤلاء الجبرية فزعموا أن جميع الأفعال الاختيارية لا تعلق لها بخلق الله تعالى يقول ابن القيم الجوزية .. الذين يقولون لا قدر، وأن الأمر أنف فمن شاء هدى نفسه ومن شاء أضلها، ومن شاء بخسها حظها وأهملها ومن شاء وفقها للخير وكملها، كل ذلك مردود إلي مشيئة العبد ومقتطع من مشيئته العزيز الحميد .

أما الأشعري فإنه حينما يتناول هذه المسألة بالحديث عنها فإنه بما أورده من أدلة لتقرير مذهبه يرد علي المعتزلة الذين يقولون بخلق الإنسان فعله: فقد ذهب إلي أن جميع أفعال العباد مخلوقة ومقدرة لله سبحانه وتعالى مستدلاً علي ذلك بما ورد في كتابه العزيز: ﴿ **خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ (الصافات٩٦).

فلا خالق إلا الله ، وأن أعمال العباد مخلوقة لله مقدر له كما جاء في الآية. كما أستدل الأشعري بقوله تعالى: ﴿ **هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّـهِ**﴾ (فاطر٣) وقوله ﷻ ﴿**لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ** ﴾ (النحل٢٠) وقوله تعالى:﴿ **أَفَمَن**

(١) الروضة الندية : شرح العقيدة الواسطية : ص: ٣٥٢– ٣٥٣ .

يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ﴾(النحل ١٧) وقولهﷻ: **﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ﴾** (الطور :٣٥)، (فالعباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئاً وهم يخلقون. وإذا كان المعتزلة قد نظروا إلي هذه المسألة من زاوية العدل الإلهي فقالوا أن تمام العدل أن تكون أفعال العباد اختيارية وعلى هذا يدور التكليف فإن موقف الأشعري يستند إلي قضية أساسية يرى أن المسلمين قد أجمعوا عليها وهي ما شاء الله كان وما لا يشاء لا يكون وهذه القضية جعلته ينظر إلي مشكلة الجبر والاختيار من زاوية المشيئة الإلهية من زاوية التكليف والجزاء. وقد أستدل الأشعري علي ذلك بقوله تعالى: **﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾**(الإنسان٣٠) فأخبر أنا لإنشاء شيئاً إلا وقد شاء الله، فعله هذا تكون مشيئة العباد تابعة لمشيئة الله.

والأشعري حين يذهب هذا المذهب لا يقول أن أفعال الإنسان كلها اضطرارية ولا اختيار كما قالت الجهمية والمرجئية، بل إنه يفرق بين الأفعال الاضطرارية والأفعال الاختيارية. الأولى تقع من العباد وقد عجزوا على ردها والثانية يقدر عليها العباد غير أنها مسبوقة بإرادة الله حدوثها واختيارها، وبهذه المقدرة الحادثة يكتسب الإنسان أفعاله، فالفعل المكتسب هو المقدور بالقدرة الحادثة فإذا أراد العبد ألف وتجرد فيه أي لم يشغل نفسه بفعل سواه خلق الله له في هذه اللحظة قدرة علي الفعل مكتسبة من العبد لقدرته التي خلقها الله له وقت الفعل، فالحركات الاضطرارية والاختيارية وقعتا من جهة الله خلقا وهما يفترقان في باب الضرورة والكسب ولكنهما يستويان في باب الخلق.

إن الأشعري في ما ذهب إليه من أن أفعال العباد مقدرة لله تبارك وتعالى لا يخرج شيء منها عن قدرته ومشيئته، موافق للسلف.

المبحث الخامس: الإيمان:

الإيمان عند الأشعري هو التصديق بالله فقط، ولهذا يرى أن الفاسق من أهل القبلة مؤمن بإيمانه، فاسق بفسقه وكبيرته ، ولا يجوز أن نقول إنه لا مؤمن ولا

كافر كما ذهبت إليه المعتزلة، لأنه : لو كان الفاسق لا مؤمناً ولا كافراً، لم يكن منه كفر ولا إيمان، ولكان لا موحداً ولا ملحداً ولا وليا ولا عدوا. فلما استحال فإذا كان الفاسق مؤمنا قبل فسقه، بتوحيده، فحدوث الزناة بعد التوحيد لا يبطل اسم الإيمان الذي لم يفارقه[1] . ويرى عبد القاهر البغدادي أن الأشاعرة اختلفوا في الإيمان علي ثلاثة مذاهب :

أ- **قال أبو الحسن الأشعري:**إن الإيمان هو التصديق لله ولرسلهﷺ في أخبارهم ولا يكون هذا التصديق صحيحاً إلا بمعرفته والكفر عنده وهو التكذيب.

ب- **عبد الله بن سعيد** : ذهب إلي أن الإيمان هو الإقرار بالله ﷻ ويكتبه وبرسله إذا كان ذلك عن معرفة وتصديق بالقلب. فإن خلا الإقرار عن المعرفة بصحته لم يكن إيماناً.

ج- **وقال الباقون** : من أصحاب الحديث: أن الإيمان جميع الطاعات فرضها ونقلها وهو على ثلاثة أقسام: قسم منه يخرج صاحبه من الكفر ويتخلص به من الخلود في النار إن مات عليه وهو معرفته بالله تعالى وبكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره من الله مع إثبات الصفات الأزلية لله تعالى ونفى التشبيه والتعطيل عنه ومع إجازة رؤيته واعتقاد سائر ما تواترت الأخبار الشرعية به. وقسم منه يوجب العدالة وزوال اسم الفسق عن صاحبه ويتخلص به من دخول النار وهو أداء الفرائض واجتناب الكبائر . وقسم منه وجب كون صاحبه من السابقين الذين يدخلون الجنة بلا حساب وهو أداء الفرائض والنوافل مع اجتناب الذنوب كلها [2] .

وزعمت الجهمية أن الإيمان هو المعرفة وحدها وقالت النجارية : الإيمان ثلاثة أشياء معرفة وإقرار وخضوع، وروى أبى حنيفة أنه قال: الإيمان هو المعرفة والإقرار ، وقالت القدرية والخوارج برجوع الإيمان إلي جميع الفرائض مع

(١) اللمع في الرد علي أهل الزيغ والبدع : ص: ٧٥و٧٦ .

(٢) أصول الدين الأمام أبى منصور عبد القاهر بن ظاهر التيمي البغدادي : ص: ٢٤٩ ، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت.

ترك الكبائر، وزعمت الكرامية أن الإيمان إقرار فرد وهو قول الخلائق بلى في الذرء الأول حين قال الله تعالى لهم: ﴿ **أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى** ﴾ (الأعراف ١٧٢) وزعموا أن ذلك القول باق في كل من قاله مع سكوته وخرسه إلي القيامة، لا يبطل عنه إلا بالردة...[١] .. ويرى الإمام ابن تيمية أن الأشعري نصر قول جهم في الإيمان مع أنه نصر المشهور عن أهل السنة من أنه يستثنى في الإيمان فيقول: أنا مؤمن إن شاء الله . وأظن أن الإمام أبى الحسن قد رجع عن قوله عقيدته– أن الإيمان قول وعمل . إلا أن أكثر إتباعه بقوا علي الإيمان هو التصديق مستدلين بإجمال اللغة قاطبة علي أن الإيمان هو التصديق. وقد ورد عليهم أهل الحديث وأهل السنة قولهم ذاك بعدة أجوبه:

١– قول من ينازعه في أن الإيمان في اللغة مرادف للتصديق ويقول هو بمعنى الإقرار وغيره.

٢– أو: ليس هو مطلق التصديق بل هو تصديق مقيد بقيود اتصل اللفظ بها.

٣– وليس هذا نقلا للفظ ولا تغيراً له، فالله لم يأمرنا بإيمان مطلق، بل بإيمان خاص وصفة وبينه....

٤– أن يقال: وإن كان هو التصديق، فالتصديق التام القائم مستلزم لما وجب من أعمال القلب والجوارح، فإن هذه لوازم الإيمان التام، وانتفاء الزم دليل علي انتقاد الملزوم، ونقول: إن هذه اللوازم تدخل في مسمى اللفظ تارة وتخرج عن آخره.

٥– قول من يقول: إن اللفظ باق علي معناه في اللغة ولكن الشارع زاد فيه حكماً.

٦– قول من يقول: إن الشارع استعمله في معناه المجازي فهو حقيقة شرعية مجاز لغوي.

٧– قول من يقول: إنه منقول[٢] .

---

(١) الأصول الدين للبغدادي ص:٢٥٠ .

(١) الإيمان لأبن تيمية نشر المكتب الإسلامي: الطبعة الثالثة ١٤٠١ .

هل في الإيمان زيادة ونقصان؟

لا نجد الأشعري تعرض للجواب عن هذه المسألة في اللمع. غير أن موقفه من الإيمان يمنع الزيادة والنقصان فإما أن نصدق أو لا نصدق، لكننا في كتابه الإبانة نجده يقول: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص. كما نجد له نصاً هاماً في رسالة أهل الثغر حيث يقول: وأجمعوا على أن الإيمان بزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وليس نقصانه عندنا شكاً فيماً أمرنا بالتصديق به، ولا جهل به لأن ذلك كفر، وإنما هو نقصان في مرتبة العلم وزيادة البيان، كما يختلف وزن طاعتنا وطاعة النبي I وإن كنا مؤيدين للواجب علينا [1].

المبحث السادس : في الإمامة :

أختلف الناس بعد رسول اللهI في الإمامة وهو أول خلاف يراه الأشعري وقع في الأمة فاختلفوا ثلاث فرق: صنف من الناس يقول بإمامة علي بعد رسول اللهI – وصنف يقول بإمامة العباس d – وقائلين بإمامة أبو بكرd أما أسباب الخلاف بينهم فيرى البغدادي أن الرافضة القائلين بإمامة عليd أن النبي I، نص علي إمامة عليd نصاً مقطوعاً بصحته. أما الرواندية القائلون بإمامة العباسd فحجتهم أن النبي I نص إمامته ونصبه إماماً. أما السلف الصالح فينقل الأشعري عنهم أنهم يقولون بإمامة أبى بكر. والأشعري يؤيد رأيهم هذا وقد خصص له بابا في كتابيه اللمع والإبانة بين فيهما أدلته علي إمامة أبى بكر، كما دحض كل حجج المخالفين. أما أدلته النقلية **فيقال تعالى:** ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ﴾ النور: ٥٥

كما نطق القرآن بمدح المهاجرين والأنصار في مواضع كثيرة وأثنى علي أهل بيعة الرضوان ، وهؤلاء اجمعوا إلي إمامة أبى بكر الصديقd وسموه خليفة

(٢) رسالة أهل الثغر : ص ٩٣ .

رسول الله I . كما استدل بقوله تعالي: **﴿سَيَقُولُ المُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ﴾** (الفتح ١٥)" قل للمخلفين من الإعراب ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا، وإن تولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً" والداعي لهم إلي ذلك غير النبيI الذي قال اللهﷻ له:**﴿ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُواً ﴾** (التوبة٨٣) ، فمنعهم من الخروج مع نبيه ﷺفوجب بذلك أن الداعي غير رسول الله I وقد قال الناس: فارس وقالوا أهل اليمامة، فقد قاتلهم أبو بكر الصديقd ودعي إلي قتالهم، وإن كانوا الروم فقد قاتلهم الصديق وإن كانوا أهل فارس فقد قاتلوا في أيام أبى بكر وقاتلهم عمر من بعده وفرغ منهم. فإذا وجبت إمامة عمر فقد وجبت إمامة الصديق لأنه العاقد له الإمامة فقد دل القرآن علي إمامة عمر بن الخطاب وأبى بكرd، وإذا وجبت إمام أبى بكر بعد رسول الله I وجب أن أفضل المسلمين. وبعد أن ساق أدلته علي إمامة الصديق " بدأ يرد علي الرافضة والروافدية بأنه قد ثبت عن علي والعباسd أنهما بايعاهd فأجمعا علي إمامته بعد رسول الله I ولا يجوز رد هذا الإجماع بأن ظاهرهما كان خلاف باطنهما لأن هذا يلزم منه إسقاط حجية الإجماع ونحن مأمورون بالتعبد في الإجماع بالظاهر. كما رد الأشعري علي القائلين أن النبي I نص علي إمامة الصديق أن أبا بكر قال لعمر" أبسط يدك أبايعك" يوم السقيفة فلو كان رسول الله I نص على إمامته لم يجز أن يكون " أبسط يدلك لأبايعك". وإذا ثبتت إمامة الصديق ثبتت إمامة الفاروق لأنه نص عليه وعقد له الإمامة، تثبت إمامة عثمانd بعد عمر بعقد من عقد له الإمامة من أصحاب الشورى الذين نص عليهم عمر فاختاره ورضوا بإمامته . كذلك تثبت إمامة علي بعد عثمان، بعقد من عقد له من الصحابة من أهل الحل والعقد، ولأنه لم يدع أحد من أهل الشورى غيره في وقته . كما استدل بحديث يرويه شريح بن النعمان، عن سعيد بن جمهان قال حدثني سفينة قال : قال رسول الله I :" الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك" ثم قال لي سفينة : أمسك خلافة أبى بكر

وخلافة عمر وخلافة عثمان ثم قال: أمسك خلافة علي بن أبى طالب قال فوجدتها ثلاثين سنة، فدل ذلك علي إمامة الأئمة الأربعة.

أما شروط الإمام فقد أجمع أهل السنة كما يروي البغدادي علي أنها العلم والعدالة والسياسة، وأوجبوا من العلم له مقدار ما يصير به من أهل الاجتهاد في الأحكام الشرعية، وأوجبوا من عدالته أن يكون ممن يجوز حكم الحاكم شهادته، وذلك بأن يكون عادلاً في دينه مصلحاً لماله وحاله، غير مرتكب لكبيرة ولا مصر علي صغيرة، ولا تاركاً للمروءة في جل أسبابه وليس من شرطه العصمة من الذنوب كلها[١] .

ولم يختلف الأشعري عما ذهب إليه البغدادي فليمكن أن نستشف من كلامه عن أبى بكر أنه اشترط في الإمام العلم والزهد وقوة الرأي وسياسة الأمة في قوله :.. وكان أفضل الجماعة في جميع الخصال التي يستحق بها الإمامة من العلم والزهد وقوة الرأي وسياسة الأمة [٢] .

(١) الفرق بين الفرق : ص ٣٠١ .
(٢) الإبانة عن أصول الديانة: ص١٤٦.

خـاتمـة

كان هذا هو الإمام الجليل أبو الحسن الأشعري الذي عن السنة دفاعاً حاراً، وفضح المعتزلة وكشف عوراتهم، وقد تمكن من ذلك بسبب دراسته عنهم وأخذه من معينهم لفترة غير يسيرة مكنتة من معرفة أدلتهم وحججهم وبراهينهم ومعرفة مواطن الضعف والقوة .

ولم يمكن الأشعري وحده الذي حاول الدفاع عن السنة والرد علي المعتزلة فالذين توالوا ذلك كثير كابن خزيمة في كتابه التوحيد وصفات الرب وعثمان بن سعيد الدرامي والنسفي .. ألخ والشيء الذي ميزه عن هؤلاء وهو سر عظمته وجلاله هو أنه اتخذ طريقاً وسطاً بين المعتزلة والمحدثين فلم يذهب إلي تمجيد العقل والإيمان بأن له سلطة لا تحد ، وأن له الحكم علي ما يتصل بالذات والصفات وما وراء الطبيعيات، وأن له الكلمة الخيرة النافذة في كل موضوع كما ذهب المعتزلة ، كما أنه لم يذهب كما ذهب كثير من أهل عصره إلا أن الدفاع عن العقيدة الإسلامية والانتصار للدين يستلزمان إنكار العقل وقوته إلى حد ما وازدرائه ، وأن السكوت عن هذه المباحث التي أثيرت بحكم تطور العصر، والتزاوج الفكري بين الأمم والديانات الأخرى والمسلمين أولى وأفضل ، بل بالعكس من ذاك فقد عنى بهذا المباحث، لأنها كانت تخرب كانت تخرب العقيدة الإسلامية من الداخل وتضعف الثقة بالدين، وناقش المعتزلة والمتفلسفين والمسيحيين واليهود بنفس أساليبهم ولغتهم امتثالاً لأمر الرسولI: " كلموا الناس علي قدر عقولهم، أتريدون أن يكذب الله ورسوله I ؟".

ومنهج الأشعري في بناء العقيدة يقوم علي النقاط التالية:

١- الأخذ بكل ما جاء به الكتاب وبكل ما جاءت به السنة لا فرق في ذلك بين السنة متواترة وآحاد ما دامت تابتة صحيحة .

٢- الأخذ بظواهر النصوص في الآيات الموهمة للتشبيه مع تنزيه الله تعالى عن الشبيه والنظير فهو يعتقد أن لله وجها لا كوجه العبيد ويداً لا تشبه يد المخلوقات .

٣- إثبات جميع الصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه مع اليقين بأنها ليست كصفات المخلوقات وأن اتفقت في التسمية أحياناً.

٤- أن الإنسان لا يخلق شيئاً ولكنه يقدر علي الكسب أي يملك اختياره ورواه وعلى هذا الكسب يدور التكليف.

٥- كل ما وعد الله به نافد ومن جملة وعدة تأميله الفاسقين والعاصين بالعفو والمغفرة يوم القيامة إذا شاء ذلك ومن جملة وعده أن ينكشف لمن شاء من عباده يوم القيامة فيرونه رؤية صحيحة لا يضارون فيها.

٦- المشيئة الإلهية بنى عليها الكثير من آرائه في الصلاح والإصلاح في كل المسائل التي تتعلق بالقضاء والقدر كما يوردها في تدليله علي وحدانية الله..

٧- المسلك الذي سلكه في الاستدلال علي العقائد مسلك النقل أولا والعقل ثانياً فهو يثبت ما جاء في القرآن والحديث وما أجمع عليه الصحابة الكرام من أوصاف الله تعالى ورسله واليوم الآخر والحساب والعقاب والثواب ويتجه بعد ذلك إلي الدلالة العقلية والبراهين المنطقية يستدل بها على صدق ما جاء في القرآن والسنة عقلاً بعد أن أوجب التصديق بها كما هي نقلاً فهو لا يتخذ من العقل أساساً للحكم علي النص ويتضح هذا من مذهبه أن العقل يمكن أن يوصلنا إلي البرهنة علي وجود الله ولكنه لا يوصلنا إلي التعرف علي ذاته وصفاته. فلم يحكم العقل علي تأويل النصوص أو إجرائها علي ظاهرها بل اتخذ العقل خادما لظواهر النصوص يؤيدها..

المصادر والمراجع

أ- المصادر:

١- القرآن الكريم .
٢- السن النبوية : كتب الأحاديث الستة .
٣- الإبانة عن أصول الديانة : نشر دار الكتاب العربي، ط٢، ١٩٩٠م .
٤- مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين : تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، نشر المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٩٩٠م .
٥- اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع : وفيه رسالة استحسان الخوض في علم الكلام .
٦- أصول أهل السن والجماعة المسماة برسالة أهل الثغر : تحقيق الدكتور محمد السيد الجليند، نشر كليات دار العوم جامعة الأزهر .
٧- تبيين كذب المفترى فيما نسب إلي الإمام أبى الحسن الأشعري : لابن عساكر الدمشقي، نشر دار الكتب العربي ١٩٧٩
٨- وفيات الأعيان وأنبياء الزمان : لأبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبى بكر بن خلكان، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، المجلد الثالث، دار الثقافة، بيروت .
٩- طبقات الشافعية الأسنوي : جمال الدين عبد الرحيم، دار العلوم للطباعة والنشر والتوزيع، تحقيق عبد الله الحبور .
١٠- الفهرست لأبن النديم أبى الدرج محمد بن أبى يعقوب إسحاق المعروف بالوراق: تحقيق رضا.
١١- سير أعلام النبلاء: للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، نشر مؤسسة الرسالة.
١٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب : للمؤرخ الأديب أبى الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي، منشورات الأفاق الحديثة، بيروت، تحقيق لجنة علماء إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة .
١٣- المنظم في تاريخ الملوك والأمم : لأبن الجوزي ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، جـ٦ ، ١٣٥٧هـ .

١٤- جلاء العينين في محاكمة الحمد بن تأليف السيد نعمان خير الدين الشهير بابن الآلوسي البغدادي ، دار السيار للنشر والتوزيع .
١٥- مجرد مقالات الإمام أبى الحسن الأشعري : من إملاء الشيخ أبى بكر محمد بن الحسن بن فورك، نشر دار الشروق دانيال جيمارية .
١٦- نهاية الأقدام في علم الكلام للشهر ستاني .
١٧- الملل والنحل للشهر ستاني جـ١ .
١٨- أصول الدين : للإمام أبى المنصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت
١٩- كتاب التوحيد وصفات الرب : لابن خزيمة ، نشر دار الثقافة .

ب- المراجع:

١- نشأة الأشعرية وتطورها : تأليف جلال محمد عبد الحميد موسى، نشر دار الكتاب اللبناني
٢- مذاهب الإسلاميين : تأليف الدكتور محمد عبد الرحمن بدوي، جـ١، المعتزلة والأشاعرة، نشر دار القلم .
٣- مقدمة بن خلدون، دار القلم ، بيروت – لبنان، ط٤، ١٩٨١ .
٤- في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين: جـ١، المعتزلة، جـ١١، الأشاعرة، تأليف الدكتور أحمد محمود صبحي، نشر وتوزيع دار النهضة العربية، ط٥، ١٩٨٥.
٥- ظهر الإسلام : تأليف أحمد أمين ، نشر دار الكتاب العربي .
٦- كبرى الفرق الفكرية والسياسية في الإسلام : تأليف حسن الشيخ الفاتح الشيخ قريب الله ، نشر دار الجبل ، بيروت .
٧- الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة : تأليف هاشم معروف الحسنى ، نشر دار القلم .
٨- مجموع الفتاوى : لابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم بمساعدة ابنه ، نشر المكتب العلمي السعودي .
٩- اجتماع الجيوش الإسلامية : تأليف ابن القيم الجوزية، تحقيق أبو حفص سيد بن إبراهيم بن صادق بن عمران، نشر دار الحديث .

١٠- معارج القبول : شرح سلم الوصول إلي علم الأصول في التوحيد، للشيخ حافظ بن أحمد حكمي ، تعليق العلامة مجد الدين الخطيب ، نشر دار الكتب العلمية .
١١- الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتشريع : الدكتور محمد أمان إلجامي، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ١٤٠٨ .
١٢- كتاب علم التوحيد عند خلص المتكلمين : الدكتور عبد الحميد علي عز العرب، دار المعارج، ط١، ١٩٨٧.
١٣- شعبة العقيدة بين أبى الحسن الأشعري والمنتسبين إليه في العقيدة : لأبى بكر دليل إبراهيم أحمد، دار الكتاب العربي .
١٤- مختصر الصواعق المراسلة علي الجهمية : لأبن الجوزية ، اختصره الشيخ محمد بن المزصلي ، نشر دار الندوة الجديدة ، بيروت ١٩٨٤م، ١٤٠٥هـ .
١٥- ابن تيمية : وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره ، إعداد الدكتور محمد حربي ، نشر عالم الكتب، ط١، ١٤٠٧هـ.
١٦- شرح لمعة الاعتقاد المادي إلي سبيل الرشاد : لعبد الله بن احمد بن قدامة المقدسي، مؤسسة الرسالة، مكتب الرشاد، بقلم محمد صالح العثمين، ط٣، ١٤٠٥هـ .
١٧- كتاب الإيمان أركانه : حقيقته، نواقضه الدكتور محمد ياسين ، نشر مكتبة التراث الإسلامي .١٩٨٧
١٨- كتاب الإيمان لأبن تيمية نشر المكتب الإسلامي : ط٣، ١٤٠١هـ.
١٩- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر : لأبن القيم الجوزية ، نشر دار الكتب العلمية ط١، ١٤٠٧هـ .
٢٠- تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام : لعلى مصطفة القرادي، ط٣، ١٩٨٥ .
٢١- الفرق الكلامية الإسلامية : للدكتور علي عبد الفتاح .
٢٢- العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية : شرح الدروس السنية، جـ١، لمؤلفه أحمد بن حجر آل بوطامي، ط١، بيروت ١٩٧٠.